من الشعر الكردي الحديث

مؤيد طيب

قصائد مختارة

ترجمة

ماجد الحيدر



قصائد مختارة

- اسم الكتاب : قصائد مختارة
- شعر مؤيد طيب
- ترجمة من الكردية : ماجد الحيدر
- الاخراج الفني : شفان احمد
- الغلاف : نجم الدين جبرائيل البيري
- الطبعة الاولى - ٢٠١٦
- من منشورات : مكتبة الجزيري - دهوك
- عددالنسخ (١٠٠٠) نسخة
- رقم الايداع (٢١٦١) من مديرية المكتبات العامة/ دهوك
- مطبعة : (Matris) - تركيا

شعر

قصائد مختارة

مؤيد طيب

ترجمة

ماجد الحيدر

٢٠١٦

مؤيد طيب
الالتحام المبدع بين الخاص والعام

لعل مؤيد طيب، الشاعر الكردي المعاصر، واحد من الشعراء القلائل الذين حققوا في شعرهم، وفي حياتهم أيضاً، ذلك الالتحام المبدع بين الخاص والعام، بين الالتزام الواعي بقضايا الشعب وهموم الشعراء اليومية منها والوجودية. إنه، وببساطة شديدة يعطينا درساً بليغاً في تجاوز هذا التناقض المفتعل بين الشكل والمضمون. ولعل من اللافت أن هذا الرجل الهادئ الحيي قد حقق، وفي سن مبكرة من حياته، شعبية وحضوراً يثيران الدهشة بين أوساط الجماهير، وأعني الناس العاديين: الطلبة، الكادحين، المقاتلين، ناهيك عن المثقفين أو الأدباء. لقد كانت قصائده تتحول بسرعة عجيبة الى أغنيات يلحنها كبار الفنانين الكرد ويرددها الصغير والكبير.. أغنيات حزينة في ساعات الإحباط واليأس والضياع، وأغنيات أخرى متفائلة، متحدية، لساعات الفرح والأمل والإصرار على الحياة. وكانت الأوراق التي خطت عليها بعض قصائده تنتقل، في سنوات الفاشية والظلام، من يد الى يد كمناشير سرية يتلقفها الناس في الشوارع والمدارس والسجون وخنادق القتال لتمنحهم الأمل والضوء والإصرار على المقاومة حتى أنه اشتكى في إحدى المناسبات من أن بعض قصائده تعرضت على يد الناس الى الكثير من التغيير والتحوير والحذف والإضافة مما يعتري الأدب الشفاهي الشعبي! ولعل العديد من الشعراء يتمنون في سرهم أن يحظوا بهذا الشرف:

شرف تحول قصائدهم الى جزء من الفولكلور وهم لما يزالوا على قيد الحياة! وربما كان أقرب النماذج الى هذه الحالة في ثقافتنا العراقية شاعرنا الكبير مظفر النواب.

عاصر مؤيد طيب كفاح الشعب الكردي المرير من أجل تحطيم أغلال العبودية والفاشية؛ قلماً وبندقية، وتغنى بانتفاضات الشعب صعوداً ونزولاً، نصراً وتراجعاً. غنى للشهداء وأمهاتهم، غنى للأطفال المعدمين المحرومين من طفولتهم، غنى للمرأة أما وحبيبةً وكادحة وضحية.. حتى إذا انهزمت الفاشية وزال ليلها المظلم عن سماء كوردستان والعراق وتنفس الشعب هواء الحرية لم يتحول الشاعر الى موظف مترهل بيروقراطي آخر ممن تعج بهم تواريخ الثورات حين تنتصر وتتحول الى دول وحكومات وكيانات سياسية: لقد ظل يتغنى بالحب والحرية والسلام والطفولة، وينتقد -في قسوة وسخرية وشجاعة- كل ظاهرة سلبية أو انحراف أو ظلم أو نكران لجميل (انظر قصائده سياسيون و النهر الذي صار مستنقعاً وبابكو) لقد ظل شاعراً   شاعراً حتى النهاية!

أن القارئ لكتابات مؤيد طيب (شعراً ونثراً وأدبَ أطفال) يكتشف على الفور تلك السمة الجميلة فيها وأعني أنها تدخل القلب دون استئذان، وتوظف أسلوباً يجمع بين اللغة الراقية والبساطة الظاهرية التي تخفي وراءها ثقافة عميقة وإلماماً ممتازاً بالتراث الكوردي العريق والأدب العالمي والعربي على وجه الخصوص، وهو في التزامه بقضايا شعبه القومية والاجتماعية بعيد كل البعد عن الانغلاق والتعصب القومي ونصير لكل الإنسانية في كفاحها من أجل انتصار الحب والخير والجمال.

ثمة اعتراف صغير بخصوص هذه القصائد: لقد قرأت أغلبها مرات ومرات وعايشتها طويلا وأسعدني الحظ بصداقة الشاعر الذي خطها لكنني رغم هذا لا أملك إلا أن أغالب الدمع وأنا أقرأ بعضها !! وأنا في هذا أشبه بالطبيب الذي تستوقفه -بين آلاف الحالات التي يراها في خضم العمل اليومي- حالة إنسانية تهزه من الأعماق وتغمره بالأسى والوجوم حتى يجلس بين يدي مريضه كي يشاطره البكاء. وهذا لا يعني أيضا غير شيء واحد وهو أن هذه القصائد تمتلك من الأصالة والتفرد والحس الإنساني ما يجعلها تلامس شغاف القلب وتطرق أبواب الروح بقوةٍ ندرت في أيامنا هذه، أيامنا التي صار فيها الكثير مما يُكتب أو يترجم من الشعر متشابها، رتيباً ، ممجوجاً كأوراق بيروقراطي عجوز! وأحسب أن هذه القدرة على هز القارئ هي ما يفرق الشعر الإنساني الخالد عن أشباه الشعر!

ماجد الحيدر

I

سنبلةَ قمحٍ كان

الى أبي

ملا طيب البزاز

سنبلةَ قمحٍ كان

يشماغانِ فوقَ رأسهِ.

شجرةَ تفاحٍ كان

قميصٌ وصُديريٌّ

ومعطفٌ وسروالٌ على جسده.

في يدِنا كانَ الخبزَ والتفاح،

وفوق رؤوسنا

كان الضوءَ والأفياء.

حين نزلتْ عليه أيامُ الحصادِ

وريحُ الفناءِ داهمَتهُ.

كان نصفه يابسا

ونصفُهُ الثاني مُصفَرّاً

ثلاثةٌ من بَنيه تحتَ الترابِ

اثنانِ في شعابِ الجبالِ

وأنا الشريدُ

في أقاصي الأرض

تسعُ سنونٍ ثقالٍ مضينَ

حتى وقفتُ على رأسهِ

عصرَ يومٍ لاهبٍ

وصرتُ شاهدة من دموعٍ

وعلى قبرهِ استحلتُ

تراباً وحجارة

٢٠/ ٥/ ٢٠١٦

لا الموتُ يبغيني.. ولا أنا الحياة

أنا

يدانِ دونَ قلب،

في هذا البحر الهائج المجنون.

علامَ إذن أسبحُ وأعوم؟

هلموّا، يا كل وحوش البحر!

هلموا اليَّ!

أ فهل من شرابٍ،

بهذا البحر المرّ الأجاج،

أعذبُ لكم من دمي؟

أنا

رجلانِ دون رأس،

فـي هذي الغابة الظلماء.

فعلام ركضي وفراري؟

هلموا يا كل وحوش البرّ!

هلموا اليّ!

أ فهل من طعامٍ،

بهذي الغابة الشائخة العجوز،

أطرى لكم من لحمي؟

أنا

رأسٌ وقلب

دونما يد ورجل.

واقف أنا مذ وعيت،

على ذا المفرق الذي

لا يؤدي لطريق

أرتقي كصخرةِ سيزيف

سفحَ ذا الجبلِ

اتدحرجُ

أهوي

أصعدُ من جديدٍ

لا أفرحُ بارتقاءٍ،

ولا أشبعُ من سقوط!

من أنا؟

لا أنا

لا أنت

لا هو

كائنٌ عجيب

عناني أحبُّ الي من رأسي

قيدي أحب إلي من يدي

الخنجر الغائرُ بظهري

أحبُّ الي من جرحي

وجلّادي..

أحبُّ إلي من روحي!

من أنا؟

كائنٌ أغربُ من الغريب

لا الأرضُ مفرشي

لا السماءُ لحافي

لا الآلهة تعرفني

ولا الشيطان

لا الموتُ يبغيني

ولا أنا الحياة!

من أنا؟

كائنٌ فقدَ الرجاء

من الأرض والسماء.

ساعةَ أجوع

لا أُريدُ خبزا

خوفا من النهب والمجاعة.

ساعة أعطش

لا أبتغي ماءً

خشيةَ الطوفانِ والغضب.

وحين أموت

لا أرغبُ بالقيام

من قبري الضيّق الحالك

خوف من رحمةٍ

ويوم حشرٍ وميزان!

ماذا أنا؟

لا أنا

لا أنت

لا هو

خرافة غريبة

وكائن أغرب

لا الأرض يعرفني

ولا السماء

لا الموت يبغيني

ولا أنا الحياة

أنقره

٩/ ٧/ ٢٠١٦

مسرحيةُ القمر

"للأطفال بين سن
الخامسة والمئة والخمس"

أبتاه!
أين النصف الآخر للقمرِ؟

قضمَهُ تنّينُ الليل.

وهل شبعَ
أم سيأكلُ النصف الآخر؟

تنّينُ الليلِ
لا يشبعُ قَطٌّ.

وماذا نفعلُ إذن
إن ظلّت السماءُ دونَ قمر؟

إن ظلَّتِ السماءُ دونَ قمرٍ
لن تبقى الأرضُ دونَ كلمة.

وماذا تفعلُ الكلمة؟
ستصنعُ قمرا جديدا.

مرحا!!!!!
عاشتِ الكلمة
عاشَ القمر!

تصبحين على خيرٍ يا ابنتي!

وأينَ قُبلتي؟

٢٨/ ٥/ ٢٠١٦

الريح

الريحُ فارسٌ

على صهوةِ البحرِ

الريحُ حادٍ

لركبِ الغمام.

الريحُ

صديقُ الأجنحةِ السامية

عابرُ سبيلٍ فوق القمم.

الريحُ

عاشقٌ للعشبِ والزهر

متيّمٌ بقامات الشجر.

لا من النار يخاف

ولا من الماء يستحي

ولا من التراب يستجدي

ذاك هو

أبدا هكذا

مُريدُ فِكرِهِ

ودرويشُ قلبِهِ.

ذاك هو

لا يُقِرُّ قوانينَ السماءِ

ولا نُظمَ الأرضِ

لم يعرفْ عبوديةً

أو خضوعا.

ملك الملوكِ هو

تاجُهُ الشمس

عرشهُ الحريةُ

ليتني الريحُ

ليتني كائنٌ

حرٌّ كما الريح!

دهوك

٢٠١٦

الطوفان

الى صديقي

الروائي حسن مَتي

قبلَ أن يظهر البشر

قبلَ أن يقيموا ظهورَهم

ويسيروا فـي الأرضِ

كانتِ السماءُ أصفى

والنجومُ أسطعُ

والبحرُ والغابةُ أزهى

والبيدُ والجبالُ أبهى

قبلَ أن يظهر البشر

قبلَ أن يقيموا ظهورَهم

ويسيروا فـي الأرضِ

كائناتُ البَرِّ كلُّها

كانتْ أكثرَ انعتاقا

وتلكَ المائيّةُ

أكثَرَ سَكينةً

قبلَ أن يظهر البشر

كانَ البشر نفسهم

أكثَر هناء.. أكثر سَعدا.

أيْ إلهي العظيم!

قدْ أعليتَ الطوفانَ،

فعلامَ السفينةُ؟

وأنجيتَ نوحا

فما شأنُ ذرِّيَتُه؟

دهوك

٢٢/ ٥/ ٢٠١٦

سيزيف

حِملُهُ صخرةٌ

و دربُهُ مُصعِدٌ عسير.

حكايتُهُ أسطورة

مِلؤُها السأمُ والعذاب.

لا يعلمُ غيرُ اللّه

كم ملَّ من نفسه ومن صخرتِه.

غيرَ أنّ السماء

لا تشبعُ من عذاباتِه

ولا تملُّ من سأمِهِ.

كلَما تدحرجَتْ صخرتُه

ودَنت أسطورتُهُ من خِتامها

صاحَ زيوسُ

مثل طفلٍ فرِحٍ:

أعِدها، أعدها من جديد!

٢٨/ ٥/ ٢٠١٦

هوَ

هوَ

سنٌّ لبنى

لا يغادر لِثاتَنا

هو

ريحٌ فاسدة

أطلقها التاريخُ

هو

كابوسٌ بهيم

يجثم على غدنا!

دهوك

٢٠١٦

المسخ

قبل أن يدهَمَهُ الجوعُ

قبل أن يجربَ العطش

راحَ يلتهمُ الغابةَ تلو الأخرى

ويعبُّ

نهرا بعد نهر

بعد يومٍ

نثرَتْ سبعُ صحارى

غبارَها فوقَ هامتِه

حشرتْ سبعُ بحارٍ

ملحَها في فمِه

غدا جبلا

عاصفا مُترِبا

ما رأى مطرا في نهارٍ

ولا ثلجاً بليل

أكلَ الغبارُ رأسَه

وذرتِ الريحُ

جسمَهُ فوق التراب

ويومَ ماتَ

لم تذرفْ نجمة

دمعةً لأجلِهِ

وما بللتْ جسمَه

قطرة مِن مطرٍ

ولا فتحَ الترابُ

أحضانَه له!

ماتَ وانقضى

بيدَ أنهُ

خلّفَ من بعدهِ

ريحا صَرصرا

تملأُ للأبدِ

الأرض ملحا

والسماءَ ترابا.

قد ماتَ وانقضى

بيدَ أنهُ

خلّفَ من بعدِهِ

أسطورة أصابتْ للأبدِ

أرضَنا بالدوارِ

وأغرقَتْ للأبدِ

الأمس بالشرورِ

والغدَ بالدماءِ

والعيش بالأقذاء!

دهوك

٢٠١٥

داعش

من حِجرِ الموتِ سقطتَ

عفريتٌ قطعَ سُرَّتك

سعلاةٌ ألقمتكَ ثديها

غذَتْكَ المجاعة بحليبها

والخوفُ ربّاكَ.

رؤوسٌ بلا قلوبٍ

نصبتك سلطانا

وقلوبٌ بلا رؤوس

سمَّتك خليفة

وها أنتَ ذا

لم تبقِ قلباً عامرا

إلا نهبتَهْ،

ورأسا ناضجا

إلا قطفتَهْ.

كرملِ الشطآن غدا جيشُكَ،

وتهاوتِ الرؤوسُ..

تساقطتْ كأوراق الخريف.

هي ذي الأرضُ كلها

نعلٌ لأقدامكَ.

هي ذي السماءُ طاقيةٌ لرأسكَ.

وهذي الحياة، بأفياء عرشك،

أذانُ موتٍ يُرفَعُ كل يومٍ،

سبع مراتٍ ينادي:

ليحيا الموت!

ولتمتِ الحياة!

٢٠١٥

ثمةَ رسالةٌ تحت التراب

تحتَ الترابِ
ثمةَ رسالةٌ
ما رآها أحدٌ
ما تلاها أحد،
ولا يتذكرُ أحدٌ
متى صارت زلزالا
هز ذي الدنيا.

تحتَ الترابِ
ثمةَ رسالة

خطَّها الحبُّ والحقدُ معا

وحطَّتِ آلهة الخير والشر

إمضاءَها عليها

تقدِّمُ يدا

وتستلم أخرى

وأنهارُ دمٍ

مُخبَّأةٌ تحتَ حقولٍ من النار

إن لم تغلق عينيك الاثنتين

ولم تقتلعْ قلبكَ

من الجذور

ولم تقطعْ رأسكَ

لن تقدرَ أن تراها

ولا أن تقرأها

تحتَ الترابِ

ثمةَ رسالةٌ

لا يعرفُ أحدٌ

إن كانت حقيقةً

أم محضَ أسطورةٍ وخيال

لكنها، تلك الرسالة،

لو يوما

رفعت رأسَها من تحت التراب

لرأيتَ رؤوسَنا كلها

تحت التراب!

يا هذي الرسالة التي

ما رآها أحدٌ

ما تلاها أحد

يا قلعةً عصيّةً

هزمَتْ جيشا بعد جيش

وما أسلمتِ القيادَ!

حلَّفتُكِ بمن كتبكِ

ومن لم يكتبكِ

امكثي تحت التراب!

واظِبي على هزَنا وهزَ دنيانا

لكن

كيدِ أمّ حانيةٍ

لا مثلَ زلزال

وريح عاتية!

دهوك

٢٠١٥

اللوحةُ الرابعة

مِن أجواءِ السماواتِ

قطفتُ تليدَ الكلماتِ

عنقودا فعنقودا.

من الأرضِ التقطتُ

حبَةً حبَةً

كلَّ ذنبٍ كبير

ورسمتُ بهم

لوحاتٍ أربع

الأولى

علّقتُها على جدارِ الأمسِ

الثانية

على سقفِ اليومِ

الثالثةُ

على أفقِ الغدِ

والرابعةُ

ظلّتْ بقلبى

ولسوفَ تصحبُنى

تحتَ التراب.

لا أندمُ على أمسي

لا أنفرُ من يومي

لا أقلق من غدي

لكنَّ خوفي في ساعةِ الحشرِ

يومَ يعلو الضجيجُ

ويتزاحمُ الكفرُ والإيمانُ

أن لا تعرفَني

ولا أراكَ!

البسطامي[1]

البسطامي

ملأ الجحيم عن آخره

فما عادَ يسعُ المزيدَ.

والجنة لعبة صبيان.

فيا إلهي

ماذا سنفعلُ

نحنُ الكبارُ

وأينَ نولّي وجوهَنا

يوم الحشر؟!

٢٠١٥

---

[1] أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، هو صوفي مسلم من أهل القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين. ولد سنة (١٨٨ هـ) في بسطام في خراسان. روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق. توفي سنة (٢٦١ هـ). قال بوحدة الوجود ومن أقواله الشهيرة: ما النار؟ لأستندن إليها غدا وأقول: اجعلني فداء لأهلها، وإلا بلعتها. ما الجنة؟ لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا.

أسئلة

يسألُ الصغارُ
أسئلةً كبيرة
وكلما كبروا
صغُرت أسئلتهم!

الكبار الذين يُكثرونَ الأسئلةَ
أطفالٌ
ما كبروا
أفراسُ بَرارٍ
لم تعرفِ اللجام.

الأسئلة

بَتَرتْ من الرؤوسِ

أكثرَ من حدِّ السيفِ،

خاطتْ من الأفواهِ

أكثرَ من رؤوسِ الإبرِ،

وكَوَتْ من الألسنِ

أكثرَ من جمراتِ النار

الرؤوسُ التي بُتِرتْ

الأفواهُ التي خيطتْ

الألسنُ التي كُوِيَتْ

كانت نجوما

احترقَتْ في السماء

وورودا

ذبلتْ بين الأقدام.

دهوك

٢٠١٦

البردُ غلبني

وجهُها ربيعٌ

صدرُها ومَقبلُها الصيفُ

شَعرُها الخريفُ

وقلبُها شتاء قارسٌ مُثلِج.

تلك كانت سنةً من عمري

سنةً ثقيلة

كل السنين التي تلت

صرنَ شتاء.

وصرتُ أنا

مسافرا غلبهُ الزمهريرُ

صرتُ صخرة أخفاها الثلج

ترابا ميتا

لم ترفع نرجسة

في يوما رأسَها

وما حلَقتْ سنونوة

يوما فوق رأسي

انت تَيهورُ ثلجٍ

انهارَ على رأسي

أضأتُ أيامكِ كلَّها

ولم تنيري شبرا أمام أقدامي

أحرقتُ لياليكِ كلّها

وما دفّأتِ كفي وأصابعي

البردُ البردُ غلبني

لكنكِ ما شعرت مرة

قيد شعرة

دهوك

٢٠١٦

سنونو

لم أكن غيرَ طفلٍ صغيرٍ

ولم تكوني غيرَ طفلةٍ أصغرَ.

كلما أبصرْتُك

تتحولُ عيناي

من بُرعمينِ لوردتين

وجسدي برمّتِهِ

يستحيلُ قلبا

يمتطي صهوةَ الريح

كطيرِ سنونو

يحلّق صاعدا نازلا

في السماء.

كبرتُ

واستحالت أعينى

مراتٍ ومرات ورودا،

وأنا قلبا أستحيلُ.

لكنني أبدا

لم أعُدْ من جديد

سنونوا

يحلق في السماء!

منديل

ذاكَ المنديلُ الذي

به مسحتُ العرقَ

من محيّاكِ

في تلك الظهيرةِ التموزيةِ

لم يزلْ في يدي

حقلَ نرجسٍ جبلي

وسرب فراشاتٍ

سَكرى ملوَّناتٍ

لا تكفُّ عن الطوافِ

في الصبح والمساء.

لكنكِ

لم تأتي يوما

لتقطفي منه نرجسةً

تغرسينها بسالفَتكِ.

أما أنا فلا أعرفُ للآن

كيفَ -في قيظِ الصيفِ،

في فورةِ العشقِ-

غمرَ الجليدُ قلبَكِ

وأطاحَ البردُ بحبِنا

لا أعرفُ للآنَ

-في أزقةِ هذي القريةِ الصغيرةِ التي

يدعونها العالمَ-

كيف أضَعنا بعضَنا البعض

للأبد؟!

١٩٨٦

(١)

كي لا تنسى يديَ المصافحة

كنتُ في كلِّ يومٍ

أمُدُّ يدي مائةَ مرّةٍ

لكنّها ما صافحَتْ

إلا الهواءَ.

ها قد مضى زمنٌ

لم أعدْ أحس فيه بيدي

لستُ أدري: أ ماتت

أم نسيَتِ المصافحة؟!

(٢)

من ضجري و من بَرَمي

أفرُّ من نفسي،

لكنْ أنّى وجَّهتُ وجهي

لا أرى غيرَ نفسي.

لستُ أدري: هل خلا العالمُ من ناسِه

أم أنّ عالمي ما عاد إلا

اربعة حيطان من المرايا؟!

تلك روحي لا الخريف

مُذ ليلةٍ غاب فيها

رأسُكِ عن وسادتي

أضربتِ الشمس

حبسَتْ نفسَها

في فمِ تنّين الليلِ

هناك.. خلف جبالِ قاف.

مذ ليلةٍ غاب فيها

رأسُكِ عن وسادتي

روحي استحالتْ

وريقةً صفراءَ شاحبةً

تذروها الرياح.

لو مرّتْ ذاتَ يومٍ

قُبالةَ شبّاككِ

لا تقولي: ما أسرعَ دبيبَ الذبولِ

لأوراقِ الشجر!

لا تقولي: ما أسرعَ قدومَ الخريف!

لا.. تلك روحي

لا الخريف.

٢٠١٦

أربعة مشاهد

أربعة مشاهدٍ

تغرقُ عيني بالدموع:

طفلٌ بائسٌ

عجوزٌ منبوذٌ

أغنيةٌ حزينةٌ

وامرأةٌ فائقة الحسن!

وداع

حين تستأذنُ الشمس

السماءَ بالرحيل

تضيءُ السماءُ مشاعلَها كلها

وحين تودعيننى

لا أملك غير عينينِ

أَطفِئُهما معا.

سؤال

سألَتْنى:

كم تخافُ الموتَ؟

أجبتها:

قدر خوفي

من أن تتركينى

وحدي

بهذا الليل!

امرأة

امرأةٌ سرقَتْ ضلعي

أرغبُ في جسدها

امرأةٌ ذهبتْ بقصيدتي

أتوقُ الى حبها

امرأةٌ خطفتْ قلبى

لا أريد شيئا منها!

رسالة

تلك الرسالة التى

لم أجرؤ على

دسَها في يدِك

لم تزل جرحا فاغرا

يَسيلُ دما

تلك الرسالة التى

لم أجرؤ على

دسَها في يدك

ما مرَّ نهارٌ

إلا واعترضَتْ طريقي

وتحاشيتُها -أنا المكللُ بالحزنِ والخجل-

وما مرّتْ ليلةٌ

إلا وَزارَتْني في الأحلامِ

وسعيتُ -أنا النادمُ المَشوقُ-

كي أشبعَ ناظري منها!

لا أكبر من جرحكم.. إلا اللّه

الى الذكرى المئوية لابادة الأرمن

مئة عامٍ وهذا الجرحُ

يمضي صاعدا في أرارات.

مئة عامٍ وهذا الجرحُ يغلي

في وانَ وسيفان[٢]

مئة عام وهذا الجرح

يمضي نازلا

---

[١] أرارات: هو أعلى جبال هضـــبة أرمينيا. يقع حاليا داخل الأراضـــي التركية، غير بعيـد عن الحـدود الأرمينيـة-التركيـة-الإيرانيـة-الأذربيجانيـة. يرتبط الجبل بعدة ديانات وينص العهد القديم على أن ســـفينة نوح قد اســـتقرت على قمته، كما يحظى بمكانة قومية كبيرة لدى الشـــعب الأرمني في الوطن الأم أو دول المهجر أو الناجين من المذبحة حتى أن صـــورته تتوســـط شـــعار جمهورية أرمينيا منذ استقلالها عام ١٩٩١

وان وســـيفان: بحيرة وان أكبر بحيرة في الأراضـــي التركية، وهي الى جانب بحيرة ســـيفـان (التي تقع في جمهوريـة أرمينيـا) وبحيرة أورميـة (التي تقع في إيران) تشكل ما كان يعرف ببحار أرمينيا الثلاثة.

مع أمواجِ دجلةَ والفرات

ينادي.. يستغيث

ومئة عام

يُخزي سلطانَ عثمانَ، يفضحُه!

يا سلطانَ الغدر

يا عارَ التاريخ

وخزيَ يومِ الحشرِ.

ألا فانظرْ

إنه نيسانُ، نيسان.

وهذه الحمرة التي

تلوّنُ السهولَ والجبالَ

ليستْ ورودَ نيسان،

ليستْ غيرَ قطراتٍ

من دمِ الأرمنِ الذي

خالطَ التراب.

أيا سلطانَ الغدرِ

هذي الشآبيبُ التي تُمطرُها السماءُ

ليست زخّاتِ نيسان.

هذا صراخُ الأرمنياتِ،

صراخُ صغارِهم.. أنينهُم واللعنات.

أيا سلطان الغدر أنصِتْ:

هذي الأصواتُ التي تملأُ الأرض والسماء

ليست بروقَ نيسان.

انها صرخاتُ أطفالِ الأرمن

قبل أن تهوي سيوفُك على رقابهم الغضّة.

غيرَ أن السلطانَ

أعمى لا يرى.

غيرَ أن السلطانَ..

أَصَمٌّ لا يسمع.

مئة عام وهذا الجرح

يتسلقُ أرارات.

مئة عام

يغلي في وان وسيفان..

لكنه، يوما،

سيفجِّرُ نفسَه

في حقدِ جلّاده.

يومها

سيَبلى تاجُهُ والعرشُ

فـي مزابلِ التاريخِ،

ويومها

سيمسحُ أراراتُ الدموعَ

بمنديلهِ الثلجي

عن عينِ وانَ وسيفان.

ولن يخبو أبدا بعدَها

مشعلٌ فـي يدِ "تمار"[1]

---

[1] تقول الاسطورة الأرمنية إن تمارا كانت أميرة حسناء تعيش في جزيرة وسط بحيرة وان (في أرمينيا التاريخية) عشقها شابٌ من العامة كان يقطع البحيرة سباحة كل ليلة ليلتقي بها مهتديا بضـوء مشـعل تحمله له في جزيرتها. وفي أحد الأيام اكتشـف والدها الأمر فانتزع المشـعل منها وحطمه فحار الفتى وأضـاع الطريق وغرق وهو يصـيح (آخ تمار). وتضـيف الأسطورة إن صيحة الفتى العاشق ما زال صـداها يتردد في الليالي وإن الجزيرة سميت (آختمار) لهذا السـبب. ورغم أن الأتراك احتلوا البحيرة وجزيرتها وضـموها الى بلادهم فإن الأرمن لم ينسـوا الجزيرة وأميرتها فأقاموا لها تمثالا على ضفاف بحيرة سيفان التي ظلت بأيديهم.

قبرٌ في الجبل.. قبرٌ في السهل

(يداي الاثنتان قُطعتا

يوم احتضنتا الغيوم)

"بودلير"

بيدهِ غسلَ يدَه

بيدهِ كفّنَها

بِشقِ من قماشِ محزَمهِ

بيدهِ

دفن يدَهُ

ونصبَ فوقها شاهدة بيضاءَ

وبيدهِ كذاكَ

خطَّ عليها:

"هذي الكومة من باردِ الترابِ

ليستْ قبرا لطفلٍ

ولدتهُ أمُّهُ في دروبِ النزوحِ

وماتَ بين يديها.

ليست بقايا لعبةِ تهديف

شغلتْ حفنةَ صغارٍ

حتى داهمهُم المساء.

هذا شاهدٌ

ليدِ بيشمركةٍ

تنتظرُ اليدُ الأخرى..

فأبرئ ذمَّتَهُ يا وطن!"

حين تصدعتْ

يدُهُ الثانية

وأعضاؤُه تساقطتْ كلُّها

لم يكن هناكَ

كي يلمَّها من التراب،

كي يضمَّها لصدرهِ مثلَ رضيعٍ

ويُسلِمَها

لقبرهِ الأول.

حفروا له قبرا ثانيا

أكبرَ من ذاك

غرسوا فوقه شاهدا

أصغرَ من ذاك.

الشاهدُ الجديدُ

لم يزلْ ينتظرُ يدا

لتخطَّ عليه:

"هذا قبرُ بيشمركةٍ

لم يحظَ في كلِّ عمرهِ

بشبرٍ من الأرضِ

لهُ الآن قبرانِ

واحدٌ في الجبلِ

واحدٌ في السهلِ

واحدٌ صارَ مربضاً للأغنام

واحدٌ عتبةً

في قصرِ قاتِله!

سامحكَ اللهُ يا وطن!"

دهوك

٢٠١٥

لا ريحَ تقلُّني
لا تراب يحملني

"أينك يا موت..

الحياة قتلتني"

أنا وريقة وحيدة

صفراءُ شاحبة

عالقةٌ، فـي آخرِ الخريفـِ،

بأعالي الغصون.

لا نسمةً تقلّني

لا أرضَ توطِئُني أديمَها.

النهاراتُ الظلماءُ القِصارُ

والليالي الحالكاتُ الطِوالُ

تلتفُّ حولَ عنقي

كأفعى رماديةٍ.

وأنا.. يقتُلني الحنينُ

لشهقةٍ من ريحٍ

و قبضةٍ من ضياءِ الشمس.

من فوقِ الجبالِ

من فوقِ البحارِ

مثل ريحٍ مُسرعةٍ

ثمةَ خنجرٌ يلبّي استغاثتي

أصلُهُ فـي كفٍّ "مَتين"[1]

ونصلُهُ فوقَ قلبي.

---

[1] متين : سـلسـلة جبلية شـامخة شمالي دهوك تحتضـن العديد من المدن والمناطق السياحية والمواقع الستراتيجية.

فـي هذا الهزيع

نداعاتُ "نالبَند"[1]

وهتافاتُ "شكويي حَسَن"[2]

ترنُّ فـي الروحِ

مثلَ الصدى:

- لا تَخَفْ!

لا لن يؤلمكَ.. لن يؤلمك!

---

(1) الشـــاعر أحمـد أمين نـالبنـد أو أحمد بامرني؛ ولد عام ١٨٩٠ في منطقة بامرني- بهدينان لأسرة فقيرة. عانى في حياته من مصاعب وكوارث مؤلمة قادته الى حياة كئيبة متشردة. أنهى حياته عام ١٩٦٣ ويقال إن الناس كانوا يرونه قبيل انتحاره يحمل سـكيناً و عندما كانوا يسـألونه عن ذلك كان يقول: إن في بطني شـيطاناً أريد أن أخرجه!! طبع ديوانه بخمسة أجزاء عام ١٩٩٧.

(2) شـاعر كوردي من أرمينيا ولد عام ١٩٢٨أقدم على الانتحار بإسـقاط نفسـه من بناية شـاهقة في نوبة من اليأس والقنوط عام ١٩٧٦. والى هذا يحيل الشـاعر في تشبيهه بالسنونو. له أربعة دواوين شعرية.

ألا يا حَجَلَ مَتين

ألا يا سنونوَ "ألَكَزى"[1]

أنا والألمُ توأمانِ

أنا والألمُ جئنا معاً للحياة.

ورضعْنا من ثدي واحدٍ

و كبرنا فـي حضنٍ واحد.

الألمُ جِلدي

الألمُ دمي

الألمُ عمري الذي مضى

وأياميَ المقبِلات.

سلسلة جبلية في أرمينيا تظل على العديد من القرى الكوردية.

آخذُهُ، كلما التقينا، ويأخذني

بالأحضان!

لا لستُ "بيتوس"[1]"

ولا أخافُ الموتَ،

لكنَّ لي

فـي أكنافِ"كيليا شَدا"

قبالة "كيزَبَرا"

على مرمى حجرٍ

من "كورا شمكزَرا"[2]"

يروي المؤرخ (بليني) أن القـائـد الرومـاني بيتوس (Paetus) قـد حكم عليـه بالموت لاشـتراكه في مؤامرة سـياسـية ومنح (كما جرت العادة) شـرف قتل نفسـه نظير احتفاظ أسرته بحقوقها المدنية. وعندما علمت زوجته بتردده أقدمت على طعن نفسـها أمامه ثم ناولته الخنجر وهي تقول له (Paete, non dolet) أي إنه لا يؤلم يا بيتوس.

[2] كيليا شَدا، كيزَبرا، كورا شمكزَرا: مناطق في دهوك القديمة.

أما عجوزا

ثُكِلت بثلاثةٍ من بنيها

أنجدوني!

يدي لا تطاوعني..

لأجعلَهُم أربعة!

كاترينا هولم

١٩٨٨

علـى ظهرِ زلـزلة وريح

(أنا ملكٌ لكنني لا

أملكُ سوى آلامي)

شكسبير/ ريتشارد الثاني

عرشي همومٌ

وتاجي أحزان!

فـي كل ليلةٍ

ينهارُ لي خندقٌ

وفـي كل نهار

شطرٌ من عاصمتي

يستحيلُ مقبرةً!

أميرٌ أنا

آهلٌ بلاطي

قِبلةٌ هو

لكلِّ يدٍ وفم

وحولي من الأربعةِ الأطراف

لصوصٌ وقُطاعُ طريق.

أكبر اللصوص:

كفٌّ ملأتُها أنا،

وكلبٌ

أضريتهُ أنا!

أميرٌ أنا

عامرة قلعتى

شامِخة عصيّةٌ كالجبال

لكنها

على ظهرِ زلزلةٍ وريح.

عن يميني والشمال

ضوارٍ ووحوشٌ كاسرات.

وجيشي

جرادٌ حطَّ على جنائنى.

جيشي زنابير

تنهش روحي.

أميرٌ أنا

ذي قلعتي

ذا بلاطي

ذي عاصمتي

ذا تاجي وعرشي

هاكموها!

هنيئا لمن يريد!

ولكنْ فليضَعْها على هامته،

على جناح الشمس

لا أن يحيلَها

منفضةً للسجائر

على طاولةِ شاهِ العجم

وعاهلِ الروم

أو مسبحةً

تعبثُ بها أصابعُ

خليفة العراق والشام!

أميرٌ أنا.

ليتني أبدلتُ تاجي وعرشي

بقلبٍ نديّ

وحلمٍ رضيع.

ليت لي مكانَ قلعتي وبلاطي

باقةً من برنواتٍ قديمة[1]

وأربعةَ خنادقَ عامراتٍ

ليتني ما كنتُ قَطٌّ

قريبا كما الآن

وبعيدا كما الآن

من حلمي القديم.

ليتني... ما كنتُ أميرا!

---

[1] البرنو: بندقية نصف آلية أخذت اسمها من مدينة (brno) في تشيكوسلوفاكيا التي صنعت فيها أول مرة في أواسط العشرينات من القرن الماضي وكانت لفترة طويلة السلاح المفضل للثوار الكرد (البيشمركة).

غير أنني

ما زلتُ أميرا

ما زالَ عرشي هموما

وتاجي أحزانا!

وفي كل ليلةٍ

يُهجَرُ لي خندقٌ

في كل نهار

شطرٌ من قلبي.. يستحيلُ مقبرةً!

بغداد

٢٠١٣

عراق

الشـــمس أجمل في بلادي من ســـواها والظلام

حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضـــن العراق

بدر شاكر السياب

ليلُهُ ذئابٌ

نهارهُ

ذبحٌ وحِراب.

من غابرات العصور

يشقُّهُ من الأنهارِ

ثلاثةٌ:

دجلة

والفراتُ

والدم!

دجلة شاخَ

لم يعُد يقوى على الوقوف

والفراتُ

يوشكُ أن يهلكَ من ظمأ،

غير أن الدمَ

لمّا يزلْ

سيلَ ربيعٍ

لا تصدّهُ سدود!

ولو أن كلكامشَ الجبارَ

عادَ الى الحياة

لارتضى أن يهونَ

عبدا على بابِ خمبابا،

أو لَمضى

باحثا عن جرعةٍ من زُعافـ!

ولَصَبَّ أنكيدو

لعناتِهِ

على يومٍ

انتصبَ فيه كالبشر،

وأدارَ ظهره

للقرى والمدائنِ

وفرّ صوبَ البراري

فرّ صوبَ الجبال!

أيها الإلهُ الكبيرُ

وأنت في عُلاك

تبصرُ أوجاعَ عبيدك

فلتمسحْ بيدٍ رحيمةٍ

على هامةِ هذي البلاد

وإلا فاستعدِ منها.. أمانتك!

خَلقُه شِياهٌ

ليلهُ ذئابٌ

نهارهُ مُدى ورؤوسٌ تهوي

وثمةَ تصخبُ فيه

أنهرٌ ثلاثةٌ

كلّها قرمزيٌ

كلها من دماء!

بغداد

٢٠١١

مقبرةٌ تلفظُ أنفاسها

دجلة والفرات

ساقيتانِ من دمعٍ

تسيلانِ على وجهِ مقبرةٍ

اسمُها

العراق.

العراقُ مقبرة

تتقلبُ في حُمّى

سكراتِ الموتِ

وتفتّش في صفحاتِ التاريخِ

عن قبرٍ يضمُّها

قبلَ أن يشوّهوا

كلَّ شواهدِها

قبلَ أن يهتكوا

كلَّ موتاها

يا صغارا

تعلموا الوقوفَ حديثاً!

أيها العجائزُ والشيوخُ الذينَ

ما زالوا قادرينَ على الانتصاب!

ارحلوا

أو كفّوا عن الموتِ

فلم يبقَ في هذهِ المقبرةِ

مكانٌ لقبرٍ جديد!

دجلة والفرات

كَفّانِ حزينتانِ

تُطبقانِ عينَين مفتوحتينِ لمقبرةٍ ميتةٍ

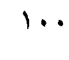
اسمُها:

عراق!

دهوك

٢٠١٦

II



شهيد

(١)

هَمى الثلجُ على قامَتِكَ

وعلى قامةِ الجبل.

لكننى، لولا ماسورة بندقيتك،

لولا النارُ في صدرك،

ما كنتُ عرفتُ

أيَّها قامتُك

أيّها قامة الجبل!

(٢)

كما فعلُ مَم وزين

رقدتُما: أنتَ والجبلُ الأشم.

لكنني، لولا رقصُ الورود الحمر،

على صدركَ،

ما كنتُ لأعرفَ

صدركَ من صدر الجبل!

ستوكهولم

١٩٨٥

قف للتفتيش[1]

لم يكن شتاء

لم يكن ربيعا أو خريفا

لم يكن فجرا

لم يكن عصرا

لم يكن بالغروبِ، ولا وضَحِ الصباح..

كانت ظهيرة تموزية

والشمس نارٌ تتلظى

تكوي الطريقَ شبرا فشبرا.

ذاك الطريق الأسود

مثل فمِ بركان

القصـــيدة قائمة على واقعة حقيقية حدثت عام ١٩٦٣ أبان حكم الحرس القومي الفاشي.

أو كنهرٍ في الجحيم

يصبُّ شلاّله في قلبِ بحيرةٍ

من ذهبٍ أسود

وكفاحٍ قرمزي

وأحلام خضراء.

آهٍ هناك

في فم تلك البحيرة التي

تغلي من قهرٍ

ثمةّ عمودٌ قصير

كقامةِ سلطانٍ قميء

يحمل كلمتينِ سوداوينِ

سلَّهُما من معجمِ الفاشيةِ والحقد:

" قف للتفتيش

أمامَ ذاكَ العمود

خمسا وعشرين ساعةً في اليوم

ثمةَ جوقٌ من كلاب.

كلابٌ إذا عوت

تتوقف القوافلُ.

أمام ذاك العمود

خمسا وعشرين ساعةً في اليوم

ثمة جوقٌ من كلاب.

كلابٌ إذا عوت

لن تمرَّ حفنةٌ من سكّرٍ أو شاي

لن تمرَّ قبضة من سمنةٍ أو دقيق.

أمام ذاك العمود

خمسا وعشرين ساعةً في اليوم

ثمة جوقٌ من كلاب.

كلابٌ إذا ما عوت

يترجلُ كل من لا يحمل

لطخةً سوداءَ فوق الجبين

أمام ذاكـ العمودِ عوتـِ الكلابُ

وترجّلَ راكبانِ

راكبانِ بجبينٍ وضّاح

أسلما العنانَ وترجَّلا

لا مِن حصانٍ كميت

لا من فرسٍ كحلاء

بل من عربة "جيب"

الطينُ والوحلُ والحملُ الثقيل

برى ظهرَها أحناها

والثلج والمطر والشمس

أنهك منها العظام

آهٍ، من تلكم "الجيب"

ترجَّلَ الشقيقان و...

أنتَ أولا، أنتَ الكبير!

كانَ شتلةَ حورٍ جبليةً

ثماني عشرة ربيعا أخضر

لوّحتْ شموسُها

ذاك الوجهَ المليح.

كلُّ ما فوقَ جلدهِ:

طاقية وقميصٌ، وسروالٌ مرقّع

ما من بندقية "برنو" على كتفهِ

ما من صَفّي رصاصٍ خلفَ ظهرِه

ما من خنجرٍ في حزامه

ما من "رمانة" تحت قميصهِ

لا لا..

في إصبعِ يدهِ اليمنى

حلقةٌ رفيعة من ذهب.

في قلبه

جميلةٌ سمراء

وحديقةٌ خضراء

وصفٌّ من جبالٍ كللتها الثلوج.

وعوتِ الكلابُ.

فجأة

لسعتْ صدغَهُ فوهةُ مسدسٍ

وعوتِ الكلاب

والأعينُ السودُ شبَّ فيها الخوفُ

لكنها لم تلذ بالفرار.

وعوتِ الكلابُ:

"قل بريءٌ أنا من الجبالِ

قل بريءٌ أنا من الثلج

قل: إن بارزاني قد خانَ وانهزمْ

قل فليعش سلطانُ بغداد!! "

صارتِ الشمس صفيحةً سوداءَ

ولاذت بغيمةٍ أشدَّ سوادا

صارُ الترابُ بركانا، زلزالا.

رقصتْ فوق رأسهِ الوحوشُ والسعالي

وتلك الحلقة الذهبيةُ الرفيعة

بترتْ إصبعَهُ وفرّتْ.

وتلك الجميلة السمراء

تلك العروسُ التي تدخلُ غرفةَ عرسها

طرحتْ إزارَها في التراب

وسوَّدتْ زينةَ وجهِها

والحديقة الخضراءُ

شبَّ فيها اللهيب.

ولاذَ المسافرُ بعَرض الجبال التى

لم تزلْ شمّاء

ولم يزلِ الثلجُ والدمُ السخين

يلوّنُ منها القممَ بالحُمرةِ والبياض

ولم تزلْ راسخات.

ها الخوفُ ولّى

ها صارَ المسافرُ

حنجرة ليس غيرٍ

وصارتِ الحنجرة

نارا تتقدُ وتصيح:

"لو تنكّرَ الفجرُ للشمسِ

سيجثم كالليل.

لو أنكرَ البحرُ ماءَهُ

لن يعودَ غيرَ بعضِ الزَبَد،

لو أنكرَ الثلجُ بياضَه

لاستحالَ سخاما.

ولو تنكرتُ للجبال،

للثلجِ وبارزاني،

لو أحنيتُ رأسي لسلطانِ بغدادَ

ليشدَّ فيه اللجام

سأظلُّ حتى الموتِ

عبدا خَنوعا.

لا   لا..

فلتعشِ الجبالُ

فليعشِ الثلجُ وبارزاني

وليمُتْ سلطانُ بغداد!"

وهاجتِ الكلابُ.

تطايرَ الشررُ

من ظمئِها للدماء

وأشبعَ المسافرُ -شتلة الحورِ الفارعة-

ناظريهِ من مشهدِ الثلجِ والجبال.

أشبعَ صدرَهُ من نسيمِ المصائفِ

أشبعَ قلبَه بالشهادةِ

وضحكَ مليّاً من الموتِ

ثم هوى..

وأرسلتْ عيونُ الثلجِ

سيلا من دموع.

أحنى سيدُ كلِّ الجبالِ

رأسه قَدرَ قامةٍ

لم يكن شتاءً

لم يكن بالربيع أو الخريف

لم يكن فجرا

لم يكن عصرا

لم يكن بالغروب، ولا وضَح الصباح..

كانت ظهيرة تموزية

وفـي فمِ تلك البحيرةِ

من الذهبِ الأسود

والكفاح القرمزي

وخضر الأحلام

كان عمودٌ

عمودٌ قصيرٌ

كقدرِ سلطانٍ قميء

يحملُ كلمتين

سلَّهُما من معجم الفاشية والحقد

"قف للتفتيش!"

قبالةَ ذاكَ العمود، في تلك الظهيرة

شهدتْ أعينُ النجومِ

وأذّنتِ الشمسُ للصلاة

وسجدوا جميعا

للدمِ الأحمرِ.

قبالةَ ذاك العمود، في تلك الظهيرة

شهدتْ كلُّ النجوم،

وذاكَ الإسفلتُ الأسودُ

أزهرَ فجأة

صارَ جنينةً.. روضةً زاهية!

وانحنى القمرُ للقطافِ

وملأَ أحضانَهُ بالورود!

وعوتِ الكلابُ

عوتْ من جديد

ومدتْ مَخالبَها

مَخالبَها المنقوعةَ بالدماء

للمسافرِ الصغير

للبرعمِ الغافي

المستحم بالندى

للريحانةِ الغضةِ الطالعة.

من هولِ الجريمة الكبرى

صُمَّ وانعقدَ لسانُه.

ما من بندقية "برنو" على كتفه

ما من صَفّي رصاص حول خصره

ما من خنجر في حزامه

ما من "رمانة" تحت قميصه

لم ينبتْ شارباه

لم يهبْ قلبَه لسمراء

لم يضع فـي إصبعه خاتما من ذهب

لا لا..

كل زينتهِ، كل ثيابه، كل سلاحه

حجابٌ أخضرَ تحتَ القميص

وحفنة من بذورٍ عبّادِ شمسٍ

فـي جيبهِ الأيسرَ،

وعشرُ حبّاتٍ من حلوى

عشرٌ كسنيّ عمرِهِ

فـي جيبه الأيمن!

لم يعتلِ الجبالَ يوما

لم يذقْ ثلوج القمم

لم يرَ الكهوفَ والخنادق

لم يكلم مقاتلَ بيشمركةٍ يوما

لم يعرفْ بارزاني

ولم يدرِ من يكونُ سلطانُ بغداد!

لكن قلبَه كان يتلو الشهادة

وتلك الكلماتُ التي كانت "الكلاب"

تأمرهُ أن يعيد

كفرٌ عظيمٌ لو تلاه

لن يرى الجنة يوماً!

المسافرُ الصغير

الذي أخرستْهُ الجريمة

فجأة غدا بلبلا

وفي قلبِ تلك الروضةِ الزاهية

صدحَ بأغنيةِ أخيه

"فلتعشِ الجبال

فليعشِ الثلجُ وبارزاني

وليمتْ سلطانُ بغداد!"

كاترينا هولم

١٩٨٩

النهرُ الذي صار مستنقعاً

ساعةَ انبثقتَ

من قلبِ ذاكَ الجبلِ الأشم

الملتحفِ بالثلوج

كنتَ نبعا صغيرا

ماؤكَ أصفى من خيوطِ القمرِ

وأنقى من بريقِ النجوم.

يومها كانت الحجولُ والحمائمُ والبلابلُ

تقصدُ بابَكَ

وتنهلُ من زلالك

وحينَ انحدرتَ من هناكَ

وانطلقتَ بمائكَ الرائقِ الفضي

تزيحُ عن طريقكَ

كلَّ صخرةٍ وكثيبٍ.

وصرتَ ساقيةً

واخضرَّتْ ضفّتاكَ

بالعشبِ والوردِ..

صرتَ ملجأً

للأسودِ والنمورِ

والهاربين من الأقطارِ الأربعة

ومضيتَ في الطريق

سريعا كعصفِ الريح

لم تغمضِ الليالي جفنيك

لم يوهنْ سعيرُ الظهيرةِ دفقَك

لم تُذهِبِ الشمس سحنتَك

لم يكتمِ الثلجُ أنفاسَك

وما بللتكَ زخاتُ المطرِ والبَرَد

وما أحفتْ قدميك الهضابُ والصخور.

ومضيتَ سريعا كعصفِ الرياحِ

مِن خوفِكَ أحنَتِ الصخورُ
والسفوحُ هاماتِها
وتنَحَّتْ عن طريقِكَ التِلال.
من حبِّك
أشرعتْ كلُ الوديانِ والأغوارِ صدورَها
ونادتكَ كلُّ الشلالات

ومضيتَ تحفرُ دربَكَ العميقَ
في كبدِ هذا الترابِ العطِشِ الجريح
وصرتَ نهرا دافقاً
نهرا قويا كثيرَ الهموم

وأينعتْ على ضفتيكَ القُرى

وفي كلِّ قرية

علَتِ الأشجارُ والآجامُ

والورودُ والأشواكُ،

وانتصبَتْ.. رفعَتْ قاماتِها

وأقبلَ البعضُ على شاطئيكَ

توضأوا وصلّوا

وأقبلَ آخرونَ

نجسوكَ، أطفأوا فيكَ شهواتِهم

وتعكرَ ماؤُكَ،

ارتختْ أقدامُكَ، أضناها المسير.

تصببَ منكَ العرقُ

تعبتَ

وصارتِ الأمواجُ تهجرُكَ

ذات اليمينِ وذات الشمال

وغادرتكَ السواقي

وامتدتِ الأيدي القبيحة

الى جراحِكَ،

تلونَتْ بدمٍ حشاكَ الجريح

وَهَنتَ وعراكَ الشحوبُ

خسرتَ خريرَك وشجيَّ ألحانِك

وضاعَ منكَ الصوتُ والصدى

وما عادتِ الصخورُ والسفوحُ

تنحني لك

ولا الحجارةُ تُخلي لك الطريق.

أما أنتَ

فما عاَد في وسعكَ أن تستديرَ

لتُبلغَ استغاثاتِك

لكثبانِ الثلجِ ورائقاتِ الأمواجِ.

فنسيتَ سريعا

صدرَ البحرِ الدافئ

ووقفتَ عند عتبةِ المدينةِ،

أسلمتَ الزمامَ

لسواقيها ومجاريها

أفواهُ المستنقعاتِ الآسناتِ ابتلعتك.

ركدتَ وفسدَ ماؤُك

ومن شاطئيكَ فرَّتِ الحمائمُ

وارتحلتِ الورودُ

واصفرَّ العشبُ

وأمسكَ أهلُ المدينةِ أنوفهم

من ريحكَ النتنِ.

ومضى الناسُ عطاشى

يصلّونَ للمطر.

من يومها صرتَ مأوى للذباب

وفاسدِ السمَكِ

ليتكَ ظللتَ ذاكَ الكثيبَ من الثلجِ

في عالي الجبالِ

ليتكَ ظللتَ ذاكَ الوابلَ الفَتيَّ

من مطرِ الربيع

ليتك ظللتَ ذاكَ النبعَ

وذاكَ الجدولَ من باردِ الماءِ

ذاك الملجأ لوحوشِ البراري

أو ذاكَ النهرَ

نصفَ العكرِ، نصفَ الزلال.

ليتك ظللتَ ذاكَ المسافرَ العنيدَ

الراحلَ نحو بحارِ الجنوب

لا هذه البُركة

من آسنِ الماء !!

كاترينا هولم

١٩٩٤

نبوءة

مليكة الشجر

يا مَن جذورُكِ الحياة وأوراقُكِ الدمُ

يا مَن قلبُكِ قلعة دمدم[1]

وتجاريبكِ ملحمة

خطّها خاني ذو الكف الذهبية.

بعضُهم غَرَسكِ

بعضُهم سقاكِ

وبعضُهم

تمطّى ونامَ تحتَ فيئكِ!

---

[1] قلعة دمدم: قلعة منيعة بناها الأمير خاني لب زيرين أو الخان ذو الكف الذهبية في منطقة برادوست. حاصرها الشاه عباس الصفوي عام ١٦٠٨ – ١٦٠٩ فأبدت بسالة عظيمة في الدفاع قبل أن تسقط ويُقتل الأمير بعد قتالٍ ملحمي.

أَعلَمُ أنني لستُ شيخا

لستُ صاحبَ كراماتٍ وأنوار.

أعلمُ أنني لا أفتحُ الفألَ

ولا أقرأُ الأكفَّ

بيدَ أنّي أرى كوضوحِ الشمس:

لو بلغتِ يوما

واعتليتِ العرش

وتحلقتْ حولكِ الأعينُ والقلوبُ،

أعلَمُ كلَّ العلمِ

مَن سيعلو أكتافَكِ

ومن سيُحرمُ من جَناكِ!

كاترينا هولم

١٩٩٢

العشقُ والثورة والتاج

(١)

العشق صيّرهُ

زيتونةً سامقة

جذورها تمتدُ وتمتد

في قلبِ التراب الوثير،

وأغصانُها الطوالُ تتقلبُ

في حضن الشمس الدافئ.

أماليدُها أعشاشُ طير

فصولُها كلّها ربيع

فصولها كلها زهور

فصولها كلها ثمارُ قلوبٍ،

وفي الأربعةِ الفصول

باسمها يقسمُ الإله!

(٢)

الثورةُ وعشقُ الفقراء

جعلاه بطلاً.

اسمُه حفظتْهُ الجبالُ

واحتسَتْ من دمِه الثلوج

جراحُه ضمّدتْها الورودُ

ودارَ اسمُهُ

فـي أفواه الصغار

أغنيةً عذبةً

حكايةً

وملحمة!

(٣)

الدولة وهبتهُ

عرشا وتاجا

رفعَتهُ سلطانا.

العرشُ والتاجُ نفضا قلبه

من كلِّ عشق

حولتْ يدا منه فأسا

والأخرى سيفا دون غمد.

من يومها صار ينهشُ أعطافَ الزيتون

من يومها صار يقطعُ رؤوسَ الفقراء

ومن يومها

صار في أحلام الصغار

آفةً، وحشا، وكابوسا

يخنقُ الأنفاس!

دهوك

١٩٩٧

بابكو[1]

الى الشهيد الحي

"ملا نذير"

أمامَ الحجرِ الأسود

رفع يديه الصغيرتين

الى عرش الله

ونادى ثلاثاً:

"أيْ إلهي!

أيُّ قلبٍ

طفحَ بالإيمان كقلبي؟

أيُّ بستانٍ

طفحَ بالدمِ والنار

كجنّتك.. كوردستاننا؟!"

[1] بابكو: في الكردية، صيغة نداء محببة لمخاطبة الأب أو الرجل الكبير.

أمام الحجر الأسود

ما تذكَّرَ الجنةَ أو النار

لا الحورَ الأربعين

لا الخمرَ، لا العسل، لا أنهار اللبن

ولا النار التي من شرارها

أوقُدت نارُنا

أمام الحجر الأسود

من خلال الدموع

صار دُميةً للمطر[1]

ومن قلبه ارتفع النداءُ

بصوتٍ كصوت "بلال"

"أيْ إلهي!

بكل أسمائك التي باركتَها

بارك شعبنا الفقير

وكوردستاننا الجريحة"

في ذرى الجبال،

حين كانت الأحلامُ والآمال المضيئة

---

[1] دمية المطر: عروس يصنعها الأطفال أوقات احتباس المطر ويدورون بها في الأزقة مرددين الأناشيد حيث يُسكَب عليها الماء فتراها مبللة على الدوام.

مثل زهور صفر وحمر

تذبل في نهايات الربيع،

كانت أحلامه تمدُّ جديدَ الغصون

في ذرى الجبال،

وعاصفة القهرِ الهوجاء

تحيل ما تضربُه الى ظلام

وتهزُّ كل واقف على أقدام

وتطيحُ بهاماتِ الشجر،

كان يسندُ ظهرَهُ

الى نور اللّه

وكان الليل يفرُّ منه
موجةً فـي إثرِ موجة

فـي ذرى الجبال، وسمومُ الحقدِ السود
ونارُ الغدر والقهر
تُخرسُ كلَّ حياة
وتسرقُ كل لونٍ للطبيعة،
كانت بندقيته برقاً
يدوّي فـي البراري والجبال

فـي السجن..

السجن الذي حفرته مَخالب الوحش[1]

فـي قلب كوردستان.

كان "عماراً"

يصرخ فـي وجه "أبي جهل" قريش:

"أحدٌ، أحد"

فـي السجن الطويل

كان "أيوبَ" الصابرَ.

من عشقِ اللّه والجبال العاليات

---

[1] المقصود سجن كركوك الذي كان مركزا للتحقيق والتعذيب الرهيب.

كانت جراحاتُه تبتسم

وآلامه تسخرُ من حقد الجلادين.

في السجنِ الطويل

سجنِ "أبي غريب"

أحرقَ سجادتَه ، وصَلاته..

والثوبَ الذي يستر لحمه

ليوقد نارَ نوروز

في كوردستانَ الحرةِ

كوردستان العامرةِ السعيدة

أبصرَتْهُ كلُّ العيون

يسندُ رأسه

الى أحلامه والآمال

صلاته والدعاء

جراحه والأشجان

آلامه والكفاح

وبندقيته

ويحني رقبته..

إيه يا بابكو؟

هكذا هي الدنيا:

"النمِرِ مِنْ جوعان

ياكُلْ جِهالهْ

والشعب مِن شبعان

ينكرْ ابطالهْ!!!"[1]

دهوك

٢٠٠١

---

[1] ارتأيت ترجمة هذا المقطع بالعامية العراقية.

نهايات حزينة

(١)

مع مشرقِ الشمسِ

جاءَ للحياة.

مع الغروبِ مات.

لكنه لم يبصر سوى الليل.

تُرى لو أنه ذاتَ صباح

رفعَ رأسَه

من نومِه السرمدي الثقيل،

نومِ قبرِه المظلمِ الخانق،

هل ستجرؤُ الشمسُ

أن تضع عينها بعينيه!؟

(٢)

عطشانا غادرَ البحرَ

وامتطى نهرا

قاصدا نبعا قريرا.

حين وصل كان الصيفُ

قد شربَ كلَّ مائه

وسدَّت الطحالبُ فوهته

لم يرجع على أعقابه

حطَّ رأسه ومات

وما بللتْ قطرة وحيدة

حنجرته اليبيسة!

(٣)

ثمانٌ وعشرٌ من الأعوام

والثلجُ ينزل عليه

يجثم على روحه الصقيع

يقبضُ البردُ قلبه

لكن حلمه ما برِد:

"كوخٌ من الحجارة والتراب

بعيدا عن ضجيج المدن

بابُهُ من شجر

دكّتُه من حجر

وتوتة حمراء

ترسل فوقه ظلالها الوارفات، أغصانها الظليلة،

باحة صغيرة

وحوضٌ من الريحان، وصُفرُ البراعم

وأمٌّ حزينةٌ واجمة

تجلس على عتبة الباب

روحها تتلظى

قلبها ينزفُ

وعينها على الطريق...

عينها على الطريق"

وجاء اليومُ: وا حسرتاه!

كوخُه صار معملَ ثلجٍ

وأمّه

كومةً من باردِ التراب!

دهوك

١٩٩٨

الصدر والجزمة العسكرية

ذاكَ الصدرُ كانَ

قبل أربعةَ عشرا من الأعوام

حديقةً صيفية

ترقصُ في جانبيها

حُمرُ الشقائقِ

ذاك الصدر كان

قبل أربعةَ عشرا من الأعوام

طنفاً لالشياً[1]

تطوفُ حولَه العيون

[1] الطَنَفُ والطَنَفُ والطُنُفُ والطُنَفُ: ما نَتأ من الجبل، وهو نحو من الحيْد، وقيل: هو شاخص يخرج من الجبل فيتقدّم كأنه جَناح. واللالشي نسبة الى معبد "لالش" الذي تقدسه الديانة اليزيدية وللكلمة عدة معان منها النور والنبراس.

في الفجر والغروب.

ذاك الصدر كان

حَرما حصينا

في بيتٍ عامرٍ كريم

تحيطه صدورٌ وقلوبٌ

لإخوةٍ سبعةٍ أشداء

مثل سورٍ منيع.

ذاك الصدر

اصطفاهُ فتى كوردي

ركَزَ فيه قلبَه كالعلَم

وصيّرهُ مرعى وحِمى.

ذاك الصدرُ

بعد أربعة عشر عاما

حطَّ فوقه كثيبانِ من ثلجٍ

ودفأتْهُ نسائمُ العشق

ونهلَ منه الحياةَ

سبعةٌ من الصغار.

ذاك الصدرُ
بعد أربعة عشر عاماً
اسوَدَّ وازرقَّ أربع عشرة مرة
وشهد أربعة عشر عزاءً
واحتضن أربع عشرة جثة.

وهبَّت الريحُ السوداءُ
وفـي كبدِ كوردستانَ الذي صارَ
عتبةً لأقدام العالمين

كان ذاك الصدرُ

والحديقة

والطوقُ

والحصنُ

والمرعى

والكثيبُ

والمقبرةِ

يسقط..و..ن

تحت حذاء جنديّ تركي!

إيهٍ يا أكري[1]

أيها الجبلُ الأعلى في بلادي

هل ترى ما أراه؟

لا تقفْ إذن

لتنفجرْ، وتصبغْ صخورَك

بحمرةِ الدماء

أو

لتطأطئْ

هامتَكَ

حتى

الأقدام!!

كاترينا هولم

١٩٩١

---

(١) جبل أكري : أعلى جبال كوردستان ويقع جنوب شرقي تركيا الحالية.

في طريق "چەلی"[1]

سبعُ ساعاتٍ مضتْ

تحتَ هذا الثلجِ والمطر

سبعُ ساعاتٍ مضت

وهي تلهثُ فوق هذا الجبل.

وهذا الطفلُ على أكتافها

مات مذ سبع ساعات.

كلما همّت بإنزالِه

صدّها قلبُها الكسير

---

[1] منطقة حدودية فر اليها الملايين من اللاجئين الكورد عام ١٩٩١.

كلما همّت

لم تطاوعْها يداها

لترمي أحشاءَها

تحتَ الترابِ والحجَر!

كاتريناهولم

١٩٩١

ليتني كنتُ طائراً في البراري[1]

شريدٌ أنا

اسمي "كيڤى"[2]

عمري تسعةُ أعوام.

ها قد مضتْ سنواتٌ ثلاث

مذ صرتُ صباغَ أحذية.

بيتنا كوخٌ صغيرٌ

من حجارةٍ وتراب

في "كيژەبەرا"

---

(١) في هذه القصـيدة المكتوبة بلغة بسـيطة ومباشـرة ومؤثرة (ترجمناها ببعض التصرف) يتحدث الشاعر على لسان طفل يتيم شريد يعمل صباغاً للأحذية في شوارع مدينة كردية.

(٢) "كيفي" أحد الأسماء الشائعة في كوردستان وهو يعني في الوقت نفسه "متشرد، بريّ، وعل جبلي، غير أليف..الخ"، وهذا ما استفاد منه الشاعر في إقامة الجناس بين اسم الصبي وحكايته الحزينة.

هو بيتٌ متجاوزٌ[1]

في أقصى بيوتٍ كلّها متجاوزة

لكنه الأكثر ظلاما والتصاقا بالأرض

أما الطريق اليه

فوعرٌ، مصَعِّدٌ، عنيد

أقسى من "كيّليا شهدا"!![2]

شريدٌ أنا

صباغُ أحذية!

البيوت المتجاوزة (وتدعى في الكردية ته جاوز) أكواخ أو مســاكن يبنيها الفقراء عادةً على أرضٍ مملوكة للدولة دون موافقات.

[1] "گاره" جبل في دهوك و"كيلى شــهدا" قمةٌ تشــرف على المدينة. و"كيژه بهرا" حي فقير في دهوك.

تحت أقدامِ "گاره"

ثمةَ قريةٌ لم أرها

لكنني من أهلها.

قبلَ سنواتٍ ثمانٍ

يوم لم أكن غيرَ رضيعٍ ضئيل

باع أبي بستانَنا

باع أغنامَنا

وجاء بنا الى المدينة،

صرنا من أهل المدن!

شريدٌ أنا

صباغُ أحذية.

كان أبي كادحا مسالما

كان عاملا.

قبل سنوات ثلاث

هوى من جدارٍ ومات.

قبل عام تزوّجتْ أمي

وهجرَتنا أنا وجدتي العجوز.

جدتي كانت

عجوزا عابدة شكور

تطيل ذكر اللّه

تمضي أيامَها بالصلاة

وأعوامَها بالصيام

شعرُها كان في بياض الثلج

وقلبها أكثرَ بياضا

قبل ثلاثة أيام

تركتني هي الأخرى

ورحلت عن الفانية

شريدٌ أنا

صباغُ أحذية.

قبل أعوام أربعة

كان لي شقيقة

أرقَّ من حبّة عنب

تصغرني بعامين.

سمّاها أبي "كەڤى"[1]

لكنه يدعوها "بدر التمام"

في اليوم الأول سقطَتْ فريسةً للمرض

في الثاني ساءَ حالُها

في الخامس أسلمتِ الروحَ

في الطريق الى المشفى.

وتعني بالكردية كثيب الثلج.

من يومها

أتطلع كلّ ليلةٍ للسماء

وأغص بالعبرات،

أطلقُ العنان للبكاء.

من يومها

كلما أبصرتُ بدرَ التمام

يعصرُني الحنين

ويحزُّ كبدي

كطعناتِ خنجرٍ صقيل.

ليتَ أبي لم يمت

ليت أمي

ليت جدتي انتظرتني بضع سنين أخريات

ليت الحُمّى لم تخطف أختي

ليتني ذهبتُ الى المدرسة

ليتني تعلمتُ الرسمَ

لأرسمَ سربا من كراكي

تسبحُ في زرقة السماء

ليتني كنت أولَ الكراكي

لأطيرَ في هذا الخريف

وأرحل عن هذه الأرض.

شريدٌ أنا

صباغُ أحذية.

لن أصبح رساما

ولا كركيا في أولِ السرب.

أتسمعني يا أبي؟!

لن أكون طبيبا. لن أكون مهندسا

كما تمنيتَ لي، فأنا

طفل دون أهل.

سأبقى جالسا أمام أحذية العابرين.

سأظل صباغا شريدا

دنياي كلها.. أحذية وأصباغ.

تحت أقدام "گاره"

ثمة قرية..

ليتني كنت طائرا في سماها

ليتني سمكة في نهرها

ليتني وحش طليقٌ في براريها

لا شريدٌ.. صباغُ أحذية

في دروب المدينة.

دهوك

٢٠٠٧

من يُنزِلُ السكينةَ... على قلب مروى

في ظهيرة يوم ١١/ ١٢/ ٢٠٠٨ رابع أيام عيد الأضحى، كانت "مروى" الطفلة الكركوكية ذات العامين برفقة أمها وأبيها وأختيها وأخيها.. يتناولون الغذاء في إحدى المطاعم حين قام إرهابي حاقد بتفجير المطعم وقتل الأبرياء فيه.

سقط في هذه الجريمة أكثر من (٤٥) شهيداً وجرح أكثر من مائة.

في هذه الكارثة فقدت مروى أباها وأمها وأخاها وأختيها وأصيبت هي بجراحٍ بليغة.

هذه الحُمرة التي ترونَها

على فمِ مروى وشفتيها

ليستْ أحمر شفاهٍ

سلّتهُ من حقيبةِ أمّها

وعبثتْ به..

إنهُ دمٌ... دم!

هذه البقعُ السودُ والزرقُ

التي تفترشُ جسمَها

ليستْ بالوشومِ

ليستْ بأصباغٍ للرسم.

إنها شظايا وجراح.

وهذا البكاءُ، هذا الصراخُ الذي يعلو منها

ليس -واللهِ- بالدلال.

إنه الألمُ الذي

يحزُّ كبِدَها.

أيْ إلهي..

من سيُنزِلُ السكينة

على هذي الطفلةِ الجريحةِ الوحيدة؟!

أيْ إلهي..

هذا الحقدُ الأسودُ كالسم،

كالليلِ الجاثمِ على هذه البلاد

من يمحوهُ، من يفنيه؟!

هذا الصباح

كان لمروى أبٌ

كلما رفعتْ يديها

حمَلَها على الأكتاف

هذا الصباح

كان لمروى أمٌ

كلما مرّتْ بها

قبَّلتها.

هذا الصباح

كان لمروى أخ وأختان

تلعبُ بأقلامهم والدفاتر.

هذي الظهيرة

لم يبقَ منهم أحد!

أيْ إلهي

من يمحو كلَّ هذا الحقد..

من يفنيه ؟!

أيْ إلهي

مروى تبكي

فمن يدخلُ على قلبها السلامَ ؟!

وإذا أفاقت غدا من جراحها

وكبرتْ، صارت عروسا

من سيُلبسها ثوب الزفاف؟

من يلوِّنُ أصابعها بالحنّاء ؟!

دهوك

٢٠٠٨

هكذا أراده اللّه

الى جلال ئاميدي

الصديق الذي لا أنساه!

هكذا أرادَهُ الله:

أن يقولَ للكذبةِ

كذبةٌ أنتِ

وللكاذبِ.. كاذبٌ أنت!

وأن ينحنى

خاشعا.. أمامَ الحقيقة!

هكذا أراده الله:

حيثما أبصرَ شوكةً

مدَّ يدَهُ، لينزعَها

ويغرسَ فـي مكانِها وردة

هكذا أراده اللّه:

ما من عاشقٍ مثلهُ للنساءِ

ما من رجلٍ مثله عذَّبَتْهُ النساءُ!

هكذا أراده اللّه:

لسانهُ نصلُ خنجرٍ

أو خيطُ حرير

يدهُ سهلٌ فسيحٌ

وجيبهُ قشٌّ هشيم!

لم يَعِفْ مهنةً لم يمتهنها:

من غسلِ الصحونِ

حتى قيادةِ القطارات

وجزَ عشبِ المقابر!

لم يترك علما لم يدرسه:

من فصولِ البيئةِ، المسرحِ،

التاريخِ،

حتى.. طبِ الأسنان!

لكنه لم يُتِمَّ واحدا

ولا بلغَ مرة بابَه!

هكذا أرادَهُ الله:

كان يعشق ماركس

وينحني للينين،

لكن أحدا لم يتربعْ في فؤاده

مثل ذاك الشيخ الذي

اسمه "البرزاني"!

حلمُهُ الكبيرُ

أن يرى كوردستانه

خضراءَ كغاباتِ السويد

لا حزنٌ يصبغ سماءها

ولا دمٌ على التراب!

لكنه يوم عادتِ الخضرة

أطبقَ الداءُ على ظهرهِ

مثل رحى تطحنُ العظام

وتفري اللحمَ.

لم يُصدّقه الأطباء

آلامُ ظهرٍ كهذه

أرسلتْ قبله الكثيرينَ

من "ذوي الرؤوس السود"

الى تقاعدٍ مريح!

وحين تيقنوا منها

كان الوقتُ قد تأخرَ

وماتَ، ماتَ بعد شهر!

نعم: ثانيةً ظفرَ الكذبُ

بصيدهِ الثمين

وثانيةً

ماتتِ الحقيقةُ!

آهٍ جلال.

آهٍ يا رفيق.

عبيدٌ نحن، بلا حولٍ

فماذا نحن صانعون؟

هكذا أرادكَ اللهُ

وهكذا.. شاعتِ الأقدار!

عشرونَ عاما مضت

لكن صورتَهُ أمامي

كأنها الساعةَ:

وردة ظمأى في راحتَيْ ظهيرةٍ

وكثيبُ ثلجٍ في حضنِ الشمس.

"إرفع رأسك يا جلال"

قلتُ له

"ليس من طبعكَ التسليمُ"

لكنه، بصوتٍ راجفٍ

ما غادَرَتْهُ الكبرياءُ

كصوت "البرزاني" على فراشِ الموت

أجابنى

"آهٍ يا رفيق

ليس هذا

خنجرَ غدرٍ

يطعنُ ظهري

لأستديرَ اليه.

ليس هذا

كذبةً تمرُّ أمامي

فأنظرُ اليها شزرا

وأقطعُ عليها الطريقَ.

إنه السرطانُ يا صاحبى..

قد هدَّ ظهري،

ولا   لا أستطيعُ له قتالاً!

أيامي معدوداتٌ يا صاحبى

ولم يبقَ للموتِ غير القليل!"

آهٍ جلال

آهٍ يا رفيق

عبيدٌ نحن بلا حولٍ

فما نحن صانعون؟

هكذا أرادكـ اللّه.

هكذا.. شاء القدَر!

دهوك

٢٠١١

إنه هوَ

لهُ ألفُ اسمٍ
لكنه اللا مُسمّى
هو بحرٌ قاحلٌ
وبيداءُ تغصُّ بالماء.

إنه هوَ
أكذوبةٌ صدّقها الناس
وكلُّ حقيقةٍ
كذبةٌ أمامَه.

هوَ النهارُ

والليلُ أنتَ.

هو الخنجرُ والسيفُ

وأنت اليدُ والفم.

هو الغارةُ والإعصارُ

وأنت الهزيمة والفرار.

ابتعدْ عن طريقه

أفسَحْ كي يمرَّ

هذا يومهُ

وأنت، لا بدَّ، هاوٍ أمامه

ولو كنتَ طوداً!

ميردين

٢٠١١

جناية

(هذا جناهُ أبي عليَّ   وما جنيتُ على أحد)

أبو العلاء المعري

مِن عاتِقِ العَدَمِ

ألقَوني وسطَ أشواكِ الوجود.

وألقيتُ أنا الآخرُ

أربعَ فراخٍ غافياتٍ

من عش العدمِ

لسكاكينِ الفناء.

لو وقَفْتُ يومَ الحشرِ

أمامَ عرشِ اللّهِ

يدا فوق يد بخشوع

سيكونُ ذاكَ

ذنبيَ الوحيدَ.

ولكن يا ترى

أثمّةَ جنايةٌ

أفدحُ منها؟!

دهوك

٢٠١٠

الأحلامُ نجوم

ثمة أحلامٌ

تشبه النجومَ:

لا تبلغها أيدينا

بيدَ أنها

في ليالي السهاد

تنزِلُ السكينةَ على القلب..

مثلَ النجوم..

مثل النجوم

أنتِ.. ذاكَ الحلمُ

أنتِ.. تلكمُ النجمةُ

وأنا

أنا ذاكما القلبُ واليدُ

أنا تلكما الحسرةُ والأسى

٢٠١٣

أشجار

الأشجارُ أيدٍ

يرفعُها الترابُ الظامئُ

أمامَ رحمةِ السماء،

أيدٍ ما سَرَقَتْ يوما لكنها

تُقطَعُ بالفؤوس.

ليسَ للأشجارِ دموعٌ

ولا دَمٌ،

لا صيحاتُ استغاثةٍ

ولا أنين..

لكن من يقولُ

أن الأرض والسماءَ

لا تبكيانِ لها

حين تهوي قاماتُها

على التراب.

دهوك

٢٠١٢

مطر

المطرُ رسالة عشقٍ

من السماءِ

الى الأرض،

جوابُها

دفقُ الينابيعِ والعيون،

وتبسُّمُ الوردِ والعشبِ

على مُحَيّا السهولِ

وشِفاهِ الجِبال.

بغداد

٢٠١٢

ضباب

الضبابُ

طَرحَةُ عرسِ الترابِ.

تكشفها الشمس عن وجهها

بأصابعها الذهبية.

هلموا يا قلوبا

لم تفطَمْ بعدُ

من ثديِ الطبيعةِ!

هلمو يا أعينا

لم يمَسَّها بعدُ

صدأُ الحياة!

هلموا الى حفلةِ العرسِ:

ذا العريس

ذو القدَ المِديد،

وذي العروسُ الفاتنة الحسناء!

دهوك

٢٠١٢

سياسيون

بعضُهم فـي العُلى

بعضُهم فـي الحضيض

بعضُهم تقدميون

بعضُهم رجعيون

بعضهم مقاتلون، أشداءُ مؤمنون

وبعضهم كاذبون.

بعضهم إنسانيون

بعضهم وحوشٌ سفاحون.

وبعضهم مثلَ دجاجٍ أليف

كلما ارتفع ديك عن الأرض

أربعةَ أصابعَ لا غير

رقدوا تحته!

أنصت إليهم:

ستسمعُ منهم النقيقَ

لكنْ لن ترى يوما

بيضةً واحدة!!

دهوك

١٩٩٧

نجوم

النجومُ ورودٌ ليلية

فـي حدائقِ السماء..

فوقَها، فـي ليالي الصحو،

تحَلِّقُ القلوبُ الكسيراتُ

وتؤوبُ قُبيلَ الصباح،

لأوكارِها بين أحضانها.

النجومُ ورود ليليةٌ

وحدُها كسيراتُ القلوب

والأعين التي جفاها النومُ

وحدُها تدري

ما طيبَ عطرِها!

دهوك

٢٠١٢

الثلج

إذا كان حقا

أن آدم من ترابٍ

وأن حواءَ

مَخلوقةٌ مِن ضلعِهِ

فاعلموا أيها الناس

أنني لستُ ابنَ آدم!

فالترابُ عنصرُه

وعنصري الثلجُ!

لذا يا أبناءَ قريتي

إذا ما مُتُّ

ووقفتمْ صَفّاً وحملتموني،

وصيّتي لكم أن تدفنوني

في ذروةِ جبلٍ ثلجي

لا تغادرهُ كثبانُ الثلجِ والجليد

حتى إذا استعرَ الحرُّ والصيفُ

لأعود مثل الآدميينَ

أعودُ الى عنصري

أعودُ ثلجا

أعودُ جليداً!

دهوك

١٩٧٩

III



سنبلةُ قمح

ما لم يقطعوا رأسَ السنبلةِ

ويدرُسوها

ويطحنوها مرتينِ

ويعجنوها

ويوقدوا النارَ الحمراءَ

تحتَ الصفيحةِ السوداء

لن يكون خبزٌ!!

ما لم تُبرقِ الغيومُ

وتُطلقَ النارَ واللهبَ

لن يكونَ مطرٌ!!

كذاك قلبي

ما لم تعتصرهُ الأحزانُ والآلام

لن يكون لحنٌ

لن تكون أغنيةٌ!!

بغداد

١٩٧٨

النارُ والثلجُ والأغنـية

لا يا سيّدي!

لا تضحكْ!

بلادي ثلجٌ.. ثلج

ومتى صارَ الثلجُ فحماً!؟

لا يا سيدي!

لا تضحكْ!

بلادي ليست نهرا

يضيعُ فـي البحرِ

بلادي ليستْ ربيعا

يذبلُ حينَ يجيءُ الصيفُ

لا. بلادي جبلٌ

والجبالُ لا تغيّرُ أماكنَها

كذاكَ ثلجُنا

لَمّا يزلْ يهوي

ولسوفَ

يظلُّ

يهوي

بلادي!

يا ثلجاً ودماء

لستِ حديقةً كي أقولَ:

"تلك الحديقةُ التي رعَتْ فيها

قطعانُ البقرِ

لا أريدها"

لستِ (لەعليخان) ولستُ (هەسەم ئاغا)[1]

كيما أقول:

"ذلك الصدرُ الذي

عبثَتْ به يدُ غيري

لا أريد منهُ حُبّا وقبلةً"

---

[1] (لەعليخان) و (هەسەم ئاغا) : عاشقان في الفلكلور الكردي.

لا. أنتِ بحرٌ

(والبحرُ لا تدنَسُهُ أفواهُ الكلاب)

وقلبي لن يَعرى من حبّك!

بلادي!

يا ثلجا ودماء.

حين كانَ الليلُ والظلامُ

يلوذانِ بالفرارِ

وتنشرُ الشمسُ ضياءَها

شيئا فشيئا

كنتُ افتحُ عينيَّ

لأبصرَ جبالَكِ والوديان

وأنادي:

"ما أكبرَكِ

ما أعظمَكِ من بحرٍ ما له قرار!"

لكنَّ جرحا

أقامَ بصدري ذات يومٍ

فاغرا فاهُ

حتى صارَ نافذة

تطلعتُ منها لأراكِ

بكلِّ جبالكِ، بكلِّ وديانكِ

تُعشِّشينَ بقلبي

يومَها أدركتُ أن صدري

مكتظٌ بالجبال!

يومها أدركتُ أنكِ صغيرة

وأن قلبي أكبرُ منكِ!

بلادي!

يا دما وكثبانَ ثلجٍ.

من قالَ إنكِ قد سقطتِ

أو ستسقطين؟

لو كنتِ قد سقطتِ

فكيف تنزلُ القواربُ أنهارَكِ؟

وكيف تشرقُ شمسُنا وتغربُ

ويجيءُ الصباحُ

تجيءُ الظهيرةُ

يجيءُ المساءُ؟

كيف يحملُ الرعاةُ ناياتِهم؟

كيف تزأرُ أسودُكِ؟

وكيف تمسك الضلوعُ قلبى!؟

بلادي!

كلما أُطفئت عينانِ سوداوانِ

تعانقت نرجستانِ فاتنتان

هكذا سيجيءُ يومٌ

تغدينَ فيهِ روضةً زاهية

وتختفي أشواك

أدمَتْ أصابعَ صغارِنا

عندها، في الأماسي

إذ يقفلونَ من البساتين

تصدحُ أناشيدُ السلام.

عندها ستجلس حلّاباتُ قريتِنا

يمخُضنَ اللبنَ

أمامَ بيوتٍ عامراتٍ

لا في الكهوفِ الموحِشات

دهوك

١٩٧٩

إيه يا حلاّبة[1]

إيهِ يا حلاّبة

إنّي لأعرفُ أن نار الشوق الى راعيكِ

قد اتقدت في كبدك.

وأعرفُ أنك ستعودين

لتمخضي سِقاء الحليب.

فتعالي.. تعالي

فالمرجُ الذي لا يُبصِرُ قدّك

ليس بالمرج.

والحليب الذي لا يخرج من بين أناملك

ليس بالحليب.

أعرف أنك ستجيئين

---

[1] شخصية الحلاّبة "بێرى" او "بێريڤان" شخصية شائعة في الأدب والفلكلور والغناء الكردي، وهي تمثل الطيبة والجمال الفطري والكدح اليومي وتشبه الى حد بعيد شخصية الراعية التي تغنى بها الرومانسيون في بعض الآداب الأخرى.

هلمي إذن

فالأرض اليومَ

مروجٌ خضرٌ

وكلّ الضروع

ملأى بالحليب.

تعالي إذن!

تعالي يا صبية!

فالراعي على عهده

وضروع النِعاج

منذورةٌ لأناملِ الحلاّبةِ

منذورةٌ لأناملِ الشقراء

إيهِ يا حلّابة!

إن جئتِ اسألي شجرةَ البلوط

قولي لها:

كيف يتراكم الثلج على غصونك

ولا تسقطين!؟

قولي لها:

كيف تهوي الفؤوس والمناجل

على جذعك ألف مرةٍ

ولا تموتين!؟

قولي لها:

كيفَ تهزُّ الزلازلُ هذي الجبال

ولا تقوى على تحطيمكِ!؟

قولي لها:

كيفَ يقتلُ الشتاءُ الخريفَ

يقتل الربيعُ الشتاء

يقتل الصيفُ الربيعَ

والخريفُ يقتلُ الصيفَ

ولا يقوى أحدٌ

أيّا كان

على سلبِكِ الحياة؟

دهوك

١٩٧٦

نشقةٌ من هواء

بعد انتكاس الثورة عام ١٩٧٥ بدأ نظام البعث بترحيل الأسر الكردية الى جنوبي العراق. في أحد الأيام الصيفية القائظة كنت في طريقي الى البصرة حين شاهدت من نافذة القطار عددا من الخيام المنتصــبة في الصــحراء الجرداء. وأمام إحدى الخيمات أبصرت صبيّةً كوردية واقفة تفتح ذراعيها لتستقبل الريح بكلتا يديها...

أيْ كوردستان

هَبيني نشقةً من هواء!

من جبلٍ ما غادرهُ الثلجُ بعد.

حورائي مقيدة

تحت خيمةٍ سوداء بالية

في صحراءٍ

دون أبٍ، دون أم.

لهَبُ الشمس

وحرقة الرمال

يغمرانِ شقرائي بالعرق.

وأنا. خائف أنا

على فاتنتي

بوجهها المجبول

من ثلجٍ ودم،

وعلى الجبين الوضّاح

على القامة المليحة

على القلب العاشق

أن تنالها الجراح.

وعلى الكبد الذي

مثل روض الأعالي

أن تغمره الحسرات.

خائفٌ أنا

أن تبدّلَ الشمسُ المسعورة

جمالَها دَمامةً

أن تحفرَ في جبينها

ألفَ وشمٍ كالحٍ

يمسحُ عن وجهها

لونَ الجبال!

طريق البصرة

صيف ١٩٧٦

أغنيةٌ رائقةٌ في سجن عكر

أمّاه، وا أمّاه!

أحزاننا بوسعِ الأرض.

السوط الأسود أكل لحمي

والشوقُ المرير

نهش منكـِ الكبِد.

وهذه الدنيا التي اتسعتْ وتهرّأتْ

لم تعُد

غيرَ شبرٍ وأربعة حيطان

الأيامُ صخورٌ

لا حراكَ لها

والسنونُ دهورٌ تدورُ

ولا تنقضي.

لكنْ يا أماه

لن يظلَّ الأمرُ هكذا

لن يظلَّ السجنُ مسكني

لن يظلَّ السوادُ لباسَك

لن يظلَّ ربيعُنا

حبيسا بجوفِ الحوت.

غدا تهوي الجُدُرُ الجوفاءُ

غدا تُسحَقُ القيودُ والسلاسلُ

غداً تستحيلُ السياطُ

جِمارا تحرقُ حامليها

غدا سأعودُ

ونُنالُ الخلاصَ:

أنا من سجني

وأنتِ من شوقكِ المرير

عندها ستُرتوي شفاهُكِ العطشى

من ينابيعِ وجهي وسواقيه.

إني لأُبصرُ يديكِ، أمّاه

إذ تشققتْ من غسيلِ ثيابِ الناس

وصنعِ الخبزِ لهم.

مثلكِ أنا أمّاه

قد حفَرَتِ القيودُ

والسياطُ والسلاسلُ

ألفَ ثقبٍ في جسدي.

لكنَّ شقوقَ يديكِ

تتفجرُ منها الينابيعُ

وثقوبُ جسدي

ستشرقُ منها الشموس.

عندها، أماه

ستحلو الحياة

عندها، عندها

يا

أ

م

ا

ه

بغداد

٦/ ١٩٧٨

أمّاه.. لا تبكي غداً

غدا أمّاهُ

قبلَ انجلاءِ الظلامِ

قبل شروقِ الشمسِ

على أرضِنا

قبل أن تخلوَ الأعشاشُ

قبل أن تنهضَ الأطيار

لي موعدٌ والمشنقة!

غدا أماه

الصخرُ والدمُ والشجر

وتلك الحبيبة الخافرة

يلفّونَ أيديهمُ حولَ عنقي

ونطيرُ، نعلو فـي السماء

وترفعُ البحارُ وشامخاتُ الجبال

أذرعَها، تلوّح لنا

تنادينا فننزلُ

وإذا شمسٌ وربيعٌ،

إذا دفقٌ من مطرٍ مباركٍ

يهمي على الرياضِ التى

فحّمَها النابالمُ

وعافَها قاحلة مقفرة

غدا أماه

حذائي سيعلو فوقَ تاجِ الأمير

وحفلة عرسي

تُزري بكلِّ الأعراس

وقامتي ستكونُ.. أزهى من الربيع.

فعلامَ، علامَ تبكين؟

وعلامَ تقرعينَ

صدركِ الذي كالبحر؟

علامَ تنثرينَ

شعركِ الذي كالثلج؟

لا، أماه، لا

لا تفعلي!

لا تلبسي السوادَ

لا تفتحي بابَ كوخِنا

للهَمِّ والأحزان

غدا أماه

"خاني" سينشدُ لي أغنيةَ العرس

وأنتِ تعيدين!

لا تبكي غدا أماه

حِسانُ قريتِنا سيأتينَ جميعا

فإذا تمردتْ دمعتانِ

وهوَتا، دون قصدٍ،

أسرعي أماهُ واخفيهما

كي لا تقولَ الحبيبةُ: "ماتَ فتايَ

وتلك البندقية التي طالما

صدحَتْ بالبشاراتِ

هوَتْ من يديه، ذلّت،

أسيرة غدَتْ، في بلاط السلطان"

وذاكـ الفستانُ الذي جئتُها به

من رؤوسِ الجبال

وحكتُهُ لها من خيوطِ الشمس

يعروهُ السخامُ

يغرقُ فـي الظلام

لا أماه

لا

لا حبيبتـي لا!

بغداد

١٩٧٩

قريتُنا

قريتنا يا صحابُ

فوقَها جبلٍ

وتحتها نهر.

عامرة يوما

وخرابٌ يذروها ألفَ يوم!

قريتُنا يا صحابُ

من حولِها الينابيعُ

من أطرافِها الحقولُ

حقولٌ وبيادرُ

ترتعُ فيها الوحوش!

وأهلُ قريتي جائعون!

أهلُ قريتي عطاشى!

في قريتنا يا صحاب

الراعي عارٍ

لا معطفَ فوق ظهره

والصوفُ حبلٌ

يجرجرُ الرقاب!

فـي قريتنا يا صحاب

الأغنياتُ صيحاتُ غوث

والأعراسُ حسرات

المهودُ فحم

والصغارُ حريق!

فـي قريتنا يا صحاب

كل القلوبِ شموسٌ

كلها بنفسجٌ ونرجسٌ وأكمام،

ومازالَ ليلٌ

ما زالَ فرار.

وما زال لقيانا ربيعَ الآمال

حلما

بعيدَ المنال!

دهوك

١٩٨٠

ما زال "گاره" في مكانه

الى الشهيد

محمود إيزدي

غزالُ، يا غزال!

من قال لكـ؟

أنّ غولا مُخيفا أتى

وحط يديه تحت "گاره"

ليحمله بعيدا عن أرضنا!؟

من قال لكـ؟

أن الماءَ عن أنهارنا رحل!

والشتاءَ خاصَمَ السنةَ؟

من قالَ أنَّ المطرَ والثلج

لن ينزلا فوق ترابنا؟

من قال لك

أن ماسورةَ بندقيةِ راعيٍ قريتنا

قد لفَّها البردُ

ولن يظلَّ بقريتنا

معلفٌ أو قطيعُ أغنام؟

من قال لك أن ليلَ "أهريمن" قد طغى[1]

وأن نارَ زرادشتَ وعينيه

خمدوا فوق الجبال؟

من قال لك أن "عەمێ گوزێ" هجرَ حصنَه[2]

ومات في ذرى الجبال؟

---

[1] أهريمن : اله الشر والظلمات في الزرادشتية ويقف نقيضا لإله الخير والنور "أهورا مزدا"

[2] من أبطال التراث الشعبي في منطقة بادينان.

لا يا غزالي لا!

ما زال "كاره" في مكانه

ما زالت الوعولُ ترعى

ما زال الماءُ في سواقينا

ما زالت أنهارُنا جاريات

السَنة والشتاءُ والثلجُ

ما تخاصموا قط

وما زالوا رفاقا.

بندقيةُ الراعي لَمّا تزل ساخنةً

والقطعانُ تملأ قريتنا.

لسوف تموتُ ظلماتُ أهريمن

ولن تنطفئ نارُ زرادشت وعينيه

عَمي كوزى ورفاقه

ما هجروا حصونَهم.

أنصِت

كيف يهتفون في الأعالي

كيف

في

الأعالي

يزأرون!

دهوك

١٩٧٩

نوروز.. بالأمس واليوم

قالوا:

أُوهووه!

قد ولّتْ أيامُ المطرقة - مطرقةُ كاوه.

ولّت ولن تعود!

قالوا:

في بلادٍ كان بها ضحّاك وحيدٌ

ما تصدّعَ التاجُ والهامة

إلا بقطعِ ألفٍ رأسٍ.

والآنَ، أما الآن:

في كلِّ قريةٍ

فـي كلٍّ بلدةٍ

ضحّاكٌ وفحيحُ تنّين!

لكنهم لم يقولوا:

أنّ فـي كل بلدةٍ

فـي كل قريةٍ

ألفُ عاملٍ، وكادحٍ، وفلاّح

وكلّ فلاحٍ، كل عاملٍ هو اليومَ

مطرقة وكاوه!

دهوك

١٩٧٩

دهوك

آهِ يا بلادي التي تعفنت
تحت أحذية الغاصبين،
ما أطيبَ أنفاسَك!

يقولونَ:
صرتِ مدينةً كبيرة!
يقولون:
استعرَتْ كلابُ السلطان
وأغرقَتِ الأزقّةَ بالدماء!
يقولون:
مهما أظلَمَ ليلُ السلطان
نارُكِ مضيئةٌ
ومشاعلكِ ما استسلمتْ للفرار!

يقولون:

صرتِ مدينةً جدُّ كبيرة!!

لكنْ كما أظلُّ في عين أمّي

طفلا صغيرا

مهما تصرّمتْ من شهور وسنين،

كذاك أنتِ.

ومهما قطعتِ من تلال

مهما اقتطعتِ من جبال

مهما كبرتِ

كلما ناداكِ الكرى

وأثقل جفنيكِ
هلمَي وألقي برأسكِ
على قلبي!

أحببتكِ في الشتاء
حين كان الثلجُ
يغطي كل جبلٍ فيكِ.
أحببتكِ في الربيع،
ونحن سربٌ من صغار
نسرقُ اللوزَ من بساتينكِ.

أحببتكِ في الصيف

وأنا ثملٌ في انتصافِ الليال

والنسيمُ يهبُّ من مضيقك.

في الخريف أحببتكِ

وزرافاتٌ جديدة من صغارك

تجري الى المدارس.

لكنني، في غربتي واغترابي،

أحبك في كل حين!

كوني ذئبا وابرزي لي من الغابات..

لسوفَ أحبك!

كوني شلالا من بَرَدٍ وانزلي فوق رأسي..

لسوفَ أحبك!

كوني ينبوعَ نارٍ وتفجَّري بين أقدامي..

لسوفَ أحبك!

كوني كابوسا واجثمي في رقادي..

لسوف أبقى.. أحبك!

يقولون:

قد صرتِ مدينةً جدُّ كبيرة!

من عُبابك يفرّ

جلاوزة السلطان.

يقولون:

قد صار التنينُ فرعوناً

يجثمُ فوق رمّانة

ويحجب نورَ شمسک!

لكن شمسک

لم تزل كما كانت:

تشرق من "گەلی بێسرێ"[1]

وتغرب من تلال "شاخكێ"![2]

ستوكهولم

١٩٨٥

"گەلی بێسرێ" مضيق جميل يقع الى الشرق من دهوك.

"شاخكێ" منطقة في غربي مدينة دهوك.

أغنية الى الأطفال الكُرد
في عيد ميلادهم

يا ابن أخي.. يا "شڤان"

فـي أعيادِ الميلادِ

فـي هذهِ البلاد

يُشعلونَ القناديلَ

لكنهم فـي بلادنا

يشعلونَ القُرى!

يا ابن أخي.. يا "شڤان"

فـي أعيادِ الميلادِ

فـي هذهِ البلاد

يقطعونَ الكعك

لكنهم في قُرانا

يقطعونَ الرؤوس!

يا ابن أخي.. يا "شقان"

في أعيادِ الميلاد

في هذه البلاد

يُمطِرُ الـ "ڤين"[1]

من شفاهِ القناني

وتمطرُ الأغنياتُ

من شفاهِ الناس

---

[1] "ڤين": شراب سويدي معروف.

لكنْ فـي خرائبِ بلادنا

تمطرُ النارُ والقنابلُ

من حناجرِ المدافعِ والطائراتِ

وتتطاير الأذرعُ والأقدام!

لكنكم ستعيشون

ولا.. لن تموتوا!!

ستوكهولم

١٩٨٤

رؤيا

"أعطني حلماً لأحيا به
أو جرعة سمَ بها أموت"
گونار اكلوف[1]

أماه
رأيتُ حلما ليلةَ البارحة!

ليكن خيرا
حلمُک يا ولدي!
قصَّه عَليّ، ولكن في حذر!
فالجدرانُ لها آذان!

رأيت يا أماه في ما يرى النائمون
أن الأرض صارتْ سجادة

---

[1] شاعر سويدي.

وإن الربَّ نزلَ من عليائه

وأمسك بأحدِ طرفيها

وأمسكتُ بالطرف الآخر

ونفضناها

نفضناها

نفضناها

ثم طرنا صوبَ نجمةٍ عالية

ورأينا الجبالَ والقرى والمدائنَ

تستحيلُ شقراءَ عاريةً غافية

وتأملناها

خلية بعد خلية

لم يبقَ تاجٌ

لم يبقَ شرطي

ولا جزمة عسكريةٌ!

ستوكهولم

١٩٨٤

تلك الرسالة التي
لا تحطُّ في بريدي

مثل أمّ تؤوبُ من حلبِ أبقارِها

أو تترک الغسيلَ وتهرع

لتكشفَ مهدَ صغيرها

هكذا أجيءُ

وبكلِ دفءٍ

أفتَحُ صندوقَ بريدي!

لكنّ صندوقي

كحزامِ طلقاتٍ

لـ "پێشمەرگەٍ" قُبيلَ الصباح

فارغٌ، لا شيء فيه!

حبيبيتي، يا حبيبتي

أنا رهينُ انتظارٍ

لرسالتك

رسالتك التي مثلَ عندليبٍ طليق

يصدح في الجبال

لا في قفصٍ بريدي!!

رسالتكِ

ملحمة عشقِ "زين"[1]

يرسلها "مه‌مى ئالان"

وساعي البريدِ

ليس سوى "به‌كروك"!

ستوكهولم

١٩٨٣

---

(١) زين حبيبة مَم في ملحمة مم وزين الشهيرة اما بَكروك فهو الشخصية الشريرة التي توقع بينهما.

صبّاغُ الأحذية الصغير[1]

لا يا ولدي، لا!

إيّاكَ، إياكَ!

لا ترفعْ فرشاتَكَ عن الأرض!

تلكَ الجزمة في حِجركَ

تناثرَ فوقها

رأسُ أبيكَ.

لا، لا تلمّعها!

---

[1] عام ١٩٧٦. كنت جالساً في المكان المسمى مقهى أمين زاخويي. جلس صباغ أحذية صغير خلف صندوقه. كنت أراقبه. جاء جندي ووضع جزمته على الصندوق وحاول دون جدوى أن يرغم الصغير على صبغها لكنه أبى وأصر على رفضه رغم ضربه إياه. خطر لي عندها أنه ابن شهيد وأن أباه يناديه من تحت التراب ويقول له...

هلُمَّ نرحل..
قد هجرتنا نُجلُ العيون

يا لي وذا الصيف!

ذا القيظ والعشق!

يرحلُ الناس

صوبَ الأعالي

لكننا: دجلة وأنا

من العشقِ الذي به بُلينا

من هذا العشقِ الحارق

أضعنا طريقنا

فنزلنا من مصائفِ الأعالي!

دجلة ماءٌ.. وعن الماءِ يبحث

لذا ترى الماءَ

يقطعُ عنقَه

أما أنا فعطِشٌ، وعن العطش أبحث

لذا أخشى أن أموت

بداءِ دجلة:

تعالَ يا دجلة!

هلمَّ أيها النهرُ الهائجُ المجنون

هلمَّ نرحل

يا للموطنِ القائظ.. القائظ!

كلانا خجِلٌ من الينابيع!

هلم نرحل

طريقنا مسدودٌ، يغمره الضباب

والعشقُ فـي هذا الموطنِ يودي بصاحبه!

تعال لنرحل للأعالي

كي تبسُمَ لـ"وان"[1]

تعال يا دجلة !

تعال أيها النهر الهائج المجنون!

---

[1] وان (أو فان) بحيرة في كردستان تركيا قرب منابع دجلة والفرات.

تعال نرحل عن هذا الموطن

ما لي اليوم من حبيب

ومالَكَ من حبيب

الى أين نمضي

ونارُ الشوقِ بصدري

غدا جبلا

الى أين نمضي وأنا نهرٌ مجنون

فرسٌ دونَ لجام

الى أين نمضي؟

وكلُّ حُمولتي اليومَ

حسراتٌ وجراح؟

وأنا أدورُ في هذا الخراب.

والأعينُ السودُ

بلادي

وحسرتي وأحبتي!

إيهِ دجلة

إيهِ يا نهراً هاجئاً مجنونا!

هلم نرحل

هجرتنا نُجلُ العيون.

لن تضحك بعدُ لنا.

والحجارة التي بها

نوقدُ نارَنا

مفرَدةٌ عزلاء

لا تقدحُ بالشرر.

عشقنا كان حلماً

طار عن أعيننا!

كان شجرةً قطّعتها المناجلُ!

تعال يا دجلة

تعال نمتطي أمواجَك

ونرحل نرحل

بهمومِنا

وحسراتنا

والجراح!!

بغداد

١٩٧٩

الليل والصمت والأغنية

إنه الليلُ

والصمتُ يلفُ قريتنا.

ما من قمرٍ ينثر علينا الضياءَ

لترعى طيورُ القبج.

لا نهرُنا نهرٌ

ليغني اللاوك والحَيران[1]

ويجولَ العاشقونَ على شاطئيه.

إنه الصمتُ

كلهمْ نيامٌ. كلهم نيام!

لا طفلا يبكي

لا غصنا يهتز

---

[1] "لاوك" و "حيران" : طوران من الغناء الشعبي الكردي.

وحنيني لهيفائي

أشعلَ النارَ بقلبى

حتى غدا عندليباً

شق صدري وطار!

حطّ فوق غصنٍ

وغنّى، وغنّى.

فأيقظَ الآجامَ والصخور.

نهرُنا قام منتصبا

وأشرَعَ القمرُ عينيه

من ذا الذي يطردُ النومَ من قريتنا

في حالكِ الليل؟

أي حزنٍ يملأ منه الفؤاد؟

أي لحنٍ جريحٍ

هذا الذي يغنّيه!

إنه قلبي يا صحابُ،

هذا الذي يغنى

لعيون الحبيبة البعيدة،

عيون الحبيبة التى

في هذا الليل الحالك

تُطبِقان الجفون

وبحالي لا تدريان!

دهوك

١٩٧٩

الجبلُ الذي صار تلاًّ

قد كانَ يا ما كان

فوقَ هاماتِ قريتِنا الصغيرةِ

كان جبلٌ عالٍ.

ذات صباحٍ

مرَّ به غزالٌ مليح

فاخضرَّ من حبّه،

صار روضةً من زهورٍ

وارتمى فـي حضنهِ الغزال!

فـي ذاتِ أمسيةٍ

مرَّ صيّادٌ، واختفى الغزال!

واستيقظت قريتُنا في الصباح

فإذا بذاك الجبلُ الزاهر

ذاك الجبلُ الأشم

يحترق من حنينهِ

ويصيرُ تلا، تلا صغيرا!

آه يا أهل قريتي!

ذاك الجبل العالي

كان: أنا!

وذاك الغزالُ المليح

كان: حبيبتي!

بغداد

١٩٧٩

عن الشاعر
مؤيد طيب

- ولد الشاعر مؤيد طيب في دهوك عام ٢٩/ ٣/ ١٩٥٧ وأكمل فيها دراسته الأولية.
- التحق بالدراسة الجامعية في كلية القانون والسياسة جامعة بغداد عام ١٩٧٧، كما عمل في الفترة نفسها محررا في دار الثقافة والنشر الكردية ومسؤولاً للصفحة الأدبية في جريدة "هاوكارى" الأسبوعية ومعداً ومقدما لبرنامج ثقافي أسبوعي في الإذاعة الكردية.
- ترك الدراسة عام ١٩٨٢ ملتحقاً بصفوف الحركة التحررية الكردية.
- هاجر الى السويد عام ١٩٨٣ثم عاد الى أرض الوطن عام ١٩٩٦.
- انتخب عام ٢٠٠٧ عضواً في المجمع العلمي الكردي.
- انتخب عضواً في البرلمان الاتحادي العراقي ٢٠١٠- ٢٠١٤ وكان ناطقاً بأسم كتلة التحالف الكردستاني.
- نجا من محاولة أغتيال بسيارة مفخخة مق بل انتحاري أمام مبنى مجلس النواب العراقي عام ٢٠١١. بعد اصابته بجراح بليغة.
- ترأس تحرير مجلة الأطفال "كەپر" فضلاً عن مجلات "آفاق سبيريز" و "رمنگز" و "پرێز" التي صدرت عن مؤسسة سبيريز.
- يرأس حاليا مؤسسة "سبيريز" للطباعة والنشر التي أصدرت المئات من الكتب باللغات الكردية والعربية والإنكليزية.
- أصدر الأعمال التالية:

الثلج والنار والأغنيات (شعر)، ط١، دهوك ١٩٩٢، ط٢ دهوك ٢٠٠٤، ط٣ أربيل ٢٠٠٩.

حين تجوع النمور، حين يشبع الناس (شعر) - دهوك ٢٠١٢.

- لا ريح تقلني، لا ترابَ يحملني (شعر) - منشورات أفستا- استانبول ٢٠١٤.

قوس قزح (قصص أطفال مترجمة عن السويدية) -دهوك ٢٠٠٢.

الحب والسلام (قصائد للأطفال) دهوك ٢٠٠٧.

لا نريد العنف (قصائد للأطفال) - دهوك ٢٠٠٩.

حقيبة الشعر والحكايات (للأطفال)- دار سبيريز- دهوك- ٢٠١١.

علاوة على كتابة وترجمة العشـرات المقالات الأدبية والفكرية واللغوية والسـياسـية والكثير من الأعمال الشعرية والقصصية الموجهة للناشئة والأطفال.

ضيف دائم على القنوات التلفزيونية كمحلل سياسي وشخصية ثقافية ذى كلمة مسموعة.

عن المترجم
ماجد الحيدر

- قاص وشاعر ومترجم
- ولد في بغداد عام ١٩٦٠ وتخرج من كلية طب الأسنان فيها ١٩٨٤
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق واتحاد الأدباء الكرد
- من أعماله المنشورة

النهار الأخير (مجموعة شعرية)، بغداد، ٢٠٠٠.

في ظل ليمونة (مجموعة قصصية)، بغداد، ٢٠٠١.

ماذا يأكل الأغنياء (مجموعة قصصية)، بغداد، ٢٠٠٢.

مزامير راكوم الدهماء وقصائد أخرى (مجموعة شعرية)، بغداد، ٢٠٠٢.

نشيد الحرية وقصائد أخرى لشيللي (ترجمة)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤.

الإيدز بين المناعة والفيروس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤.

عبور الحاجز-قصائد من الشعر العالمي (ترجمة)، دار المأمون، بغداد، ٢٠٠٧.

ناجون بالمصادفة (مجموعة شعرية)، دار سبيريز، دهوك، ٢٠٠٩.

ضحك كالبكاء (كتابات ساخرة). منشورات ملتقى الأهالي، بغداد، ٢٠١٠.

الثلج والنار والأغنيات، مختارات من شعر مؤيد طيب (ترجمة)، دار الثقافة الكردية، بغداد ٢٠١٠.

مالاني (قصص قصيرة بالكردية)، منشورات اتحاد الأدباء الكرد، دهوك، ٢٠١٢.

في الذكرى السنوية لرحيلي (قصص قصيرة)، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٤.

غلطة من هذه؟ (مجموعة شعرية)، مطبعة جامعة دهوك، دهوك، ٢٠١٥.

- الملاك الألثغ الصغير(قصص قصيرة)، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠١٦.

ستأخذنا الريح، مائة قصيدة وقصيدة من الشعر النسوي العالمي (ترجمة)، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠١٦.

The Psalms of Rakoom the Black and Other Poems, Proclaim Press, Pittsburghm, P.A. USA, 2010.

Yes, It's Me- Selected Poems-Union of Kurd Writers-Duhok, 2014.

عنوان البريد الالكتروني:

majidalhydar@yahoo.com
majidahydar@gmail.com

فهرست

ثمة اعتراف صغير بخصوص هذه القصائد: لقد قرأت أغلبها ومرات وعايشتها طويلا وأسعدني الحظ بصداقة مرات الشاعر الذي خطها لكنني رغم هذا لا أملك إلا أن أغالب الدمع وأنا أقرأ بعضها !! وأنا في هذا أشبه بالطبيب الذي تستوقفه -بين آلاف الحالات التي يراها في خضم العمل اليومي- حالة إنسانية تهزه من الأعماق وتغمره بالأسى والوجوم حتى يجلس بين يدي مريضه كي يشاطره البكاء. وهذا لا يعني أيضا غير شيء واحد وهو أن هذه القصائد تمتلك من الأصالة والتفرد والحس الإنساني ما يجعلها تلامس شغاف القلب وتطرق أبواب الروح بقوةٍ ندرت في أيامنا هذه. وأحسب أن هذه القدرة على هز القارئ هي ما يفرق الشعر الإنساني الخالد عن غيره.

د. ماجد الحيدر

